عطية الوهاب
الفاصلة بين الخطأ والصواب

للشيخ محمد مراد المنزلوي المكي

ضبطه وصححه وعلق عليه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والعاقبة للمتّقين، والصّلاة والسلام على نبيّنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم وعلى آله وأصحابه وأزواجه أجمعين، وأشهد أن لا إلـه إلّا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ونؤمن بما جاء به النبيّ ﷺ.

أما بعد، فقد سألني بعض المُحبّين أن أكتب رسالة مشتملة على أجوبة اعتراضات المُعْترضين الذين اعترضوا على الشيخ الأجَلّ والإمام الأكمل والعارف الأمْجد الشيخ أحمد النقشبندي الفاروقي السرهندي رحمه الله تعالى بكلماته التي في مكتوباته لعدم فهمهم مقصوده بها وبمصطلحاته، وغيّروا وحَرّفوا بعض ألفاظه لأن يوقعوا الفساد والجدال والقتال بين الخلق وتابعيه به ويصدُّوا الناس عن الهداية والإرشاد الذي يحصل لهم بصحبة أولاده وأتباعه الذين هم مستقيمون على جادّة الشريعة، ومُوصلون إلى الحقيقة والمعرفة، وأهمّني وأكّد عليّ بذلك وكرّر عليّ السؤال له ليظهر الحقّ ويُبْطِل الباطل ويزول الفساد الذي بين المسلمين، والظنّ السُّوء الذي حصل للناس في حقّ الشيخ وأولاده وأتباعه خصوصًا لأهل الحرمين الشريفين زادهما الله تعالى شرفًا، بسبب الاستفتاء، والسؤال الذي ورد من الهند في أثناء ثلاث وتسعين وألف وإفتاء بعض طَلَبَة العلم في الحرمين الشريفين، فأجبت لدفع هذه المفسدة والإصلاح بين المسلمين وإظهار الحق بينهم، ونفي التُّهمة في حقّ العالم العامل المتّقي؛ ولقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المَائدة: الآية 2]، وبلغني أن الرسالة التي كتبها بعض علماء الحَرَمين الشريفين في إثبات الطَّعْن في الشيخ أحمد رحمه الله تعالى أرسلها مع الاستفتاء بعلامة بعض علماء الحرمين الشريفين بموجب ذلك السؤال والاستفتاء المحرف المعرب من الألفاظ الفارسية على خلاف مُراد الشيخ أحمد رحمه الله، ومقصوده لعدم اطّلاعهم على

حقيقة الأمر إلى الهند واسلامبول وما وراء النهر ليظهر الفساد والخصومة بين توابع الشيخ وغيرهم بسببه؛ لأن في كل هذه البلدان للشيخ أتباعًا ومريدين، وما أرسلها إلَّا ليظنّ الناس الظنّ السوء في حقّ الشيخ، لأن فتوى علماء الحرمين الشريفين عندهم معتبرة، فإذا وصلت إليهم الرسالة مع الاستفتاء يظنّون ظنّ السوء في حقّهم البتّة؛ فلدفع هذا الشرّ والعمل بالحديث في السؤال: «**إذا ظهرت الفتن والبدع أو سبّ أصحابي فليظهر العالم علمه، فمَن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»(1) انتهى.

ومن أقبح الفتن والبدع ذمّ العالم المتّقي الذي هو صاحب الحال والقال والعارف الربّاني والحِبْر الصَّمَداني وجامع المعقول والمنقول كتبت هذه الرسالة بعون الله تعالى وتوفيقه. اللّهمّ أرِنا الحق حقًّا وارزقنا اتّباعه، وأرِنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. اللّهمّ إنا نسألك العفو والعافية وحُسْن الخاتمة، وذكرت فيها ألفاظ المكتوبات للشيخ رحمه الله وعباراتها الفارسية بعينها ليظهر للمنصف الصادق دفع المحذورات التي نشأت من عدم فهم المعترضين مصطلحاته ومراده الذي أراد كلامه، ومن تركهم بعض ألفاظها من كلامه ومن تعريب ألفاظها الفارسية على خلاف مقصوده ومراده ودفع قول من يقول ما ذكرته ليس في المكتوبات. والعجب من الطاعن كيف يثبت الإيمان لفرعون، وقد ثبت كفره عند العلماء ويشنع على الشيخ أحمد رحمه الله، وهو من العلماء العاملين العارفين ويرتكب ما لا ينبغي في حقّه، فلنشرع الآن في المقصود بتوفيق الله تعالى وتأييده سبحانه.

الجواب الأول لقول المعترضين في صورة السؤال، وبعد: فما يقول العلماء الذين هم ورثة الأنبياء والفضلاء الذين هم دعاة الخلق إلى الطريق السواء في حقّ أحمد السرهندي الكابلي، الذي قال (أي في رسالة المبدأ والمعاد) بتفضيل حقيقة الكعبة على محمد ﷺ مستدلاً بأن صورة الكعبة مسجود

(1) لفظه كما في الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي: «إذا ظهرت البِدَع في أمتي فليُظهر العالِم علمه فإن لم يفعل فعليه لعنة الله». حديث رقم (1271) [1/ 321]. وأورده السيوطي في مفتاح الجنة بلفظ: «إذا ظهرت البِدَع في أمتي وشتم أصحابي فليُظهِر العالِم علمه فإن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» [1/ 66]؛ وأورده غيرهما.

إليها للصورة المحمدية، فكذلك حقيقة الكعبة مسجود إليها للحقيقة المحمدية ولما ألزمه أهل بلاده بلزوم تفضيل صورة الكعبة أيضًا على صورة محمد ﷺ بعين ذلك الدليل، بل أولى التزمه.

وقال: ينبغي أن يُعلم أن صورة الكعبة ليست عبارة عن الحجر والمَدَر؛ إذ لو فرض عدمها لكانت الكعبة كعبة ومسجودة للخلائق، قال في المكتوب المُوَفَّى مائة من الجلد الثالث: الكعبة المسجود إليها للخلق ليست هي الحجر والطين ولا السقف والجدران؛ لأن تلك لو زالت كانت الكعبة مكانها، وإنما الكعبة لها ظهور ولا صورة لها، وهذا من أعجب العجائب، انتهى.

ثم قال في المبدأ والمعاد: بل صورة الكعبة مع كونها من عالم الخلق هي في لون الحقائق الأمرية وأُعجوبة يعجز العقلاء عن تشخيصها، إلى أن قال: نعم إن لم تكن كذلك لم تكن مستحقّة لأن تكون مسجودًا إليها لأفضل الموجودات، انتهى.

وقال: إن المراد بحقيقة الكعبة هي الحقيقة الأحمدية التي هي تعيّنه الإمكاني الأمري، وبالحقيقة المحمدية تعيّنه الإمكاني الخلقي لا تعيّنه الوجوبي، فبعد مُضِيّ ألف سنة تغلب الروحانية التي للأحمدية على البشرية التي كانت للمحمدية، فينصبغ عالم خلقه بصبغ عالم الأمر، فما رجع من خلقه إلى المحمدية يعرج حتى يلتحق بالأحمدية ويتّحدان، لا أنه يعرج عن الوجوب، فإن العُرُوج عن التعيُّن الأوّل الوجوبي لا معنى له، انتهى.

وقال في المكتوب التاسع والمائتين: ينبغي أن يُعْلَم أن حقيقة كل شيء عبارة عن التعيّن الوجوبي الذي تعين ذلك الشخص الإمكاني ظلّ ذلك التعين الوجوبي، وهو اسم من أسماء الله تعالى، كالعليم، ونقل كلام الشيخ ابن العربي؛ قال الشيخ في رسالة القدس: إنَّ الأكوان ظِلال الأسماء الإلٰهيّة والأسماء ظلال الشؤون الذاتيّة لذلك الشيء، وهو اسم من الأسماء الإلٰهيّة كالعليم، وذلك الاسم ربّ ذلك الشخص ومبدأ الفُيُوض الوجوديّة له وتوابعها... إلى أن قال: فإذا تمهّد هذا، فنقول: إن محمدًا ﷺ مُرَكَّب من عالم الخلق والأمر، والإسم الإلٰهيّ الذي هو ربّه شأن العليم، والذي يربي

عالم أمره هو المعنى الذي صار مبدأ لذلك الشأن وحقيقة الكعبة أيضًا ذلك المعنى، وإذا كانت حقائق الأشياء الأسماء الإلـٰهيّة، وحقيقة الكعبة فوق تلك الأسماء كانت متبوعة لحقائق الأشياء، لزم أن تكون مسجودة للحقيقة المحمدية، انتهى.

اعلم أن الشيخ رحمه الله ما قال إن حقيقة الكعبة أفضل من الحقيقة المحمدية، بل قال في مكتوبه: إن حقيقة الكعبة فوق الحقيقة المحمدية ﷺ، فتوهّم بعض الناس من هذا الكلام أن الكعبة المُعَظَّمة أفضل من النبيّ ﷺ، والحال أنه عليه الصّلاة والسّلام أفضل المخلوقات وأشرف البَرِيّات.

قلنا وبالله العصمة والتوفيق وبيده أزِمّة التحقيق: إن ذلك التوهّم إنما نشأ من حمل لفظ الحقيقة على ذات الشيء وتشخّصه، وهو مبنيّ على الجهل عن اصطلاح هذه الطائفة العَليّة وعدم الاطّلاع على حقيقة كلام شيخنا رضي الله عنه، فإن حقيقة الشيء عندهم اسم إلـٰهيّ هو مبدأ لتعيّن ذلك الشيء ووجوده، وذلك الشيء كالظلّ والعكس لذلك الاسم، والاسم واسطة الفيوض بين الحضرة القُدْسيّة وبين ذلك الشيء، كما أن الشأن الذاتي واسطة بين ذلك الاسم المُقَدّس وبين الذات المُنَزّه العليّ على ما جرت عليه العادة الإلـٰهيّة من توسيط الوسائط ورعاية المناسبة بين المفيض والمستفيض.

قال الشيخ محيي الدين بن العربي قُدِّس سرُّه في رسالة القدس: إن الأكوان ظلال الأسماء الإلـٰهيّة، والأسماء ظلال الشؤون الذاتيّة. وعند الشيخ أحمد رحمه الله: لله تعالى باعتبار الظهور مراتب:

مرتبة اللّاتعيّن، وهو مرتبة الذات البحت، وعند الصوفية يُطْلَق عليه هذه الأسماء الأحديّة الذاتية والأحدية المطلقة والأحدية الصِّرْفة وعالم اللّاهوت وأزل الأزل وخفاء الخفاء وبطون البطون وغيب الهوية.

والثاني: مرتبة التعيّن الوجودي والحبّي.

والثالث: مرتبة الحياة.

والرابع: مرتبة العلم الجملي، وهي مرتبة الوحدة والشأن التفصيلي، وهو الواحدية والأعيان الثابتة، وهي مرتبة الأسماء عند القوم وعالم الجبروت،

والحقيقة المحمدية عبارة عن اسم العليم عند الشيخ أحمد رحمه الله، وعندهم مرتبة الأسماء مرتبة الوحدة والعلم الجملي أيضًا، وهذه المراتب كلّها قديمة أزليّة تقديم بعضها على البعض بالذات لا بالزمان.

وللعالم مراتب: **الأول**: مرتبة الأرواح، وهو عالم الأمر والملكوت. **والثاني**: مرتبة عالم المثال. **والثالث**: مرتبة عالم الشهادة، وهو عالم الخلق والناسوت.

وعند الشيخ أحمد رحمه الله: محمد ﷺ مُرَكَّب من عالم الأمر والخلق، واسمه ﷺ أحمد باعتبار عالم أمره، ومُحَمّد باعتبار عالم خلقه، واسم الله تعالى الذي هو مربي عالم أمره وهو مُظْهِره يقال له الحقيقة الأحمدية، وهي المُعَبّرة بحقيقة الكعبة واسمه تعالى الذي هو مربى عالم خلقه ﷺ يقال له الحقيقة المحمدية، والمراد بالحقيقة المحمدية التي فوقها حقيقة الكعبة التعيّن الإمكاني النوري، وبحقيقة الكعبة التعين الوجوبي.

وصرّح بذلك في المكتوب التاسع والمائتين من الجلد الأول بقوله: ينبغي أن يُعلم أن حقيقة الشخص عبارة عن التعيّن الوجوبي الذي التعين الإمكاني ظلّ ذلك التعيّن الوجوبي وهو اسم من أسماء الله تعالى كالعليم والقدير، وأقول: إن حقيقة الشخص كما تكون التعين الوجوبي، كذلك تكون التعيّن الإمكاني الذي هو ظلّه، انتهى ملخصاً.

ولفظ الحقيقة لا يُطلق على الله تعالى، بل على اسم من أسماء الله تعالى الذي هو مبدأ تعيّن ذلك الشيء وحقيقته الوجوبية، فلا يردّ عليه أن أسماء الله تعالى توقيفية. فإذا تمهّد هذا، فاعلم أن لنبيّنا ﷺ بحسب تقلّبه في أطواره وأنواره كمالات لا تُحْصَى ومقامات لا تُسْتَقْصى، فله عليه الصلاة والسلام باعتبار هذا الوجود العنصري، وإرشاده لهذا العالم الظلماني اسم مبارك هو محمد ﷺ ناشىء من حقيقته وهو اسم إلٰهيّ يناسب تربية هذا العالم السفليّ مسمّى بالحقيقة المحمدية، وله عليه الصّلاة والسلام باعتبار وجوده الروحاني المربّي لعالم الملكوت النوراني اسم آخر هو أحمد ناشىء عن اسم وشأن إلٰهيّ هو مبدأ وأصل للحقيقة المحمدية يناسب تربية ذلك العالم العلويّ مسمّى

بالحقيقة الأحمدية المعبّرة بحقيقة الكعبة الربّانية، أي المربّي للكعبة ومثبّتها وله عليه الصلاة والسّلام وراء هذين التعينين الذين هما كالأحياز الطبيعية له عليه الصّلاة والسلام عروجات لا تُعَدّ، وأسرار لا تنفد وإليها يشير قوله ﷺ: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل»(1)، وبها يومىء قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: الآية 9] وهو مورد السرّ الاصطفائي والمحبوبية الصّرفة، وهي مناط الفضل ومدار التفوّق، فثبت أن التفوّق إنما هو لبعض كمالاته ومراتبه عليه الصّلاة والسلام على بعض، وأن حقيقة الكعبة الربّانية بعض من حقائقه العالية وجزء من حقيقته الجامعة الشاملة، فبطل توهّم التفوّق واضمحلّ حديث الأفضلية.

وهذا الذي ذكرناه نبذة مما حقّقه شيخنا وإمامنا في جواب مسائل سُئِل عنها في المكتوب التاسع والمائتين من مكتوبات الجلد الأول، وينبغي أن يُعْلم أن فضل الحقيقة على الحقيقة لا يوجب فضل الصورة على الصورة لجواز أن يحصل للصورة مع حقيقتها التي هي ربّها قرب واتّصال لم يتيسّر للصورة الأخرى، وهذا فيما نحن فيه أظهر من أن يُخفى؛ لأن كمال القرب إنما هو بالفناء والبقاء والعروج المخصوص بالبشر وغير الإنسان الكامل له مقام معلوم.

ثم اعلم أن لفظ الحقيقة المحمدية في عبارات شيخنا وإمامنا على معانٍ مختلفة وأنحاء شتّى، فمتى قُوبِلت بالحقيقة الأحمدية والكعبة الربانية يُراد بها ما ذكرناه سابقًا من أنه اسم إلـهيّ مناسب لتربية العالم السفليّ، ومتى ذكرت مطلقة يُقْصد بها الحقيقة الجامعة للحقيقة المحمدية والأحمدية والكعبة الربّانية، وهي المُعَبّرة بحقيقة الحقائق وهي الحقيقة التي لا واسطة بينها وبين الذات المقدّس، كما ذكر شيخنا رحمه الله في آخر مكتوب من الجلد الثالث له قُبَيْل وصاله بأيام قليلة: إن الحقيقة المحمدية ظهور أول وحقيقة الحقائق، انتهى.

وفي المكتوب الأول من الجلد الثاني من المكتوبات المعصومية: حقيقة الكعبة ناشئة من مقام المعبودية والمسجودية التي هي ذات الله باعتبار

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (2159) [2/ 226]؛ والهروي في المصنوع [1/ 258].

شأن من شؤوناته واعتبار من الاعتبارات لا الذات المعراة عن النسب والاعتبارات.

حاصله أن النبيّ ﷺ مُرَكّب من عالم الأمر والخلق وله اسمين أحمد ومحمّد، فالأول يطلق عليه ﷺ بالاعتبار الأول، والثاني بالاعتبار الثاني والحقيقة الإجمالية باصطلاح القوم التعين الأول، والحقيقة التفصيلية وهي التعيّن الثاني باصطلاحهم ظلّ التعيّن الأول، وهي أي الحقيقة الإجمالية اسم من أسماء الله تعالى وظلّها عالم أمره عليه الصّلاة والسلام، وظلّ التعين الثاني عالم أمره مع خلقه عليه الصّلاة والسلام والتحية، وفي التعيّن الأول مراتب الشؤونات، وفيه شأن الأحمدية والكعبة، وعند الشيخ رحمه الله فيه شأن فوق شأن وعنده الصفات زائدة على الذات موجودة بوجود زائد وهو مذهب جمهور المتكلّمين.

وفي شرح العقائد لمولانا جلال الدين الدواني: ولكنهم يخالفون في كون الصفات عين ذاته أو غير ذاته أو لا هو ولا غيره، فذهب المعتزلة والفلاسفة إلى الأول، وجمهور المتكلّمين إلى الثاني، والأشعري إلى الثالث، انتهى. ومقامها وراء الصور العلمية التي هي في المراتب العلمية، وليس التعين العلمي الجملي تعيّنًا أول وهو صفة العلم التي هي من الصفات الحقيقة الزائدة ولا التعين الأول لذاته تعالى كما هو عند القوم لأن الصفات عنده غير الذات.

أشار إليه بقوله في المكتوب التاسع والمائتين من الجلد الأول: ولا شكّ أن حصول الشأن، وإن كان مجرّد اعتبار، ولكن يقتضي أن يكون فوقه معنى آخر زائد، انتهى.

فالحقيقة المحمدية هي العين الإمكاني. كما أشار إليه بقوله في ذلك في المكتوب: المراد من الحقيقة المحمدية هٰهنا تعيّنه الإمكاني الخلقي، انتهى. وفوقها حقيقة الكعبة لا شكّ فيها، وهو الشأن الوجوبي في التعيّن الأول ويتوجّه إليها في الصلاة. فصحّ قوله في المبدأ والمعاد: إن الحقيقة القرآنية والكعبة الربّانية فوق الحقيقة المحمدية على مُظْهرها الصلاة والسلام، انتهى. وليس في المبدأ والمعاد لفظ التفضيل ولا لفظ الأفضل، بل فيه لفظ التفوّق. والجهلة فهموا منه الأفضلية ولقد قال الإمام قُدّس سرّه وغيره أيضًا إن الصفات الإلٰهيّة

بعضها فوق بعض، فالحياة فوق الكل ثم العلم ثم القدرة ثم الإرادة ثم التكوين، ولا يلزم من ذلك أفضلية بعضها على بعض لأن الأفضلية بمعنى كثرة الثواب، وهي لا تتصوّر هنا.

وفي شرح المواقف: أن الملائكة وإن كانوا فوق البشر، يعني في بعض الأمور، لكن الأفضلية بمعنى كثرة الثواب للبشر، انتهى. فإذا عرجت الحقيقة المحمدية في السير في الله تكون الشؤونات التي توجّه ﷺ إليها قبل العروج كالظلال هكذا إلى غير النهاية، فإذا سمعت عبارات المكتوبات وحاصلها، فاعلم أنه لا يَصْلُح اعتراض المعترضين على المكتوب المُوَفّى مائة من الجلد الثالث الكعبة المسجود إليها، الخ... وعبارته المعربة هكذا: الكعبة المسجود إليها للخلائق ليست هي عبارة عن الحجر والمَدَرْ والجدران والسُّقف، لأنها لو لم تكن بالفرض والتقدير لا تزال الكعبة كعبة ومسجودًا إليها، فههنا ظهور وليس الصورة فيه، وهذا من أعجب العجائب، انتهى.

فلا يلزم القبح لقائله بقوله الشخص الذي كتبه في آخر دفتر السؤال في جوابه ما نصّه: والقول بأن الكعبة ليست هي البنية، وإنما هي شيء يعجز العقل عن تشخيصه، وأنها في صورة الأمر قبح سادس عشر لأنه رَدٌّ للآيات المتكاثرة والأحاديث المتواترة، انتهى.

كيف يلزم القبح لمن يقول: إن الكعبة ليست هذه البنية مع أن أكثر الفقهاء صرّحوا به وهو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه؟ وفي شرح الطحاوي: الكعبة اسم للعرصة، فإن الحيطان لو وضعت في موضع آخر وصلّي إليها لا يجوز. وفي التهذيب: المعتبر التوجّه إلى مكان البيت دون البناء حتى لو صلّى فوق الكعبة جاز، وعند الشافعي: البناء معتبر، وفي فتاوى الأوحدي: الكعبة إذا رفعت عن مكانها لزيارة أصحاب الكرامة، ففي تلك الحالة جازت صلاة المتوجهين إلى أرضها، وفي الظهيرية: الكعبة هي العرصة، والهواء إلى عنان السماء عندنا. وفي فتاوى الحجّة: الصّلاة في أبي قبيس والجبال والتلال الشامخة جائزة، وعلى ظهر الكعبة جائزة لأن القبلة من الأرض السابعة إلى السماء السابعة بحذاء الكعبة إلى العرش، انتهى.

وهذه الروايات نُقِلَتْ من كنز العباد، وقال فقهاء الحنفية والمالكية: الكعبة والقبلة عندنا هي البقعة المحدودة إلى السماء دون البناء والبناء تَبَعٌ وعلامة لمعرفة القبلة حتى لو وُضِعَ هذا البناء في موضع آخر لا يجوز تعظيمه، يعني بالسجود إليها، وإلّا فتعظيم حصى الحرم أيضًا مطلوب فضلاً عن بناء الكعبة، ولو انهدم البناء، والعياذ بالله، الكعبة باقية بدليل أن الأنبياء والأولياء استقبلوا وطافوا لهذه البقعة مدّة ألفين ومائتين وأربعين سنة، ولم يكن هناك بناء، وعند الشافعية كذلك إلّا في حقّ من يصلّي في الكعبة أو على سطحها، فإنه فُرِضَ عليه أن يستقبل إلى البناء، وأقلّه قدر ثلثي ذراع حتى لو صلّى داخل الكعبة متوجّهًا إلى الباب المفتوح لا يجوز عندهم إلّا إذا كانت العتبة مرتفعة قدر شبر وزيادة، بدليل أن النبيّ ﷺ صلّى داخل البيت متوجّهًا إلى الباب وأمر بردّه، ولولا أن الكعبة بناء أو شاخص لما أمر بردّ الباب.

وقال بعضهم: قبْلة الداخل البناء، وقبلة الخارج أيضًا البناء، فإذا لم يكن البناء ولا الشاخص يصلّي إلى البقعة ضرورة، والقبلة اسم للبقعة والعرصة، قالوا: هو الصواب كما في البحر، انتهى.

فما يقول العلماء العظام في حق من يقبّح قائل ذلك القول المذكور، وهو قول الحنفية والمالكية ويلزم منه هذه القباحة الشنيعة في حقّهم أيضًا، بَيِّنوا تُؤْجَروا. ومما يدلّ على أن حقيقة الكعبة غير هذا البناء ما روى الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الكعبة لها لسان وشفتان ولقد اشتكت، فقالت: يا ربِّ قَلَّ عُوّادي، أو قلَّ زُوّاري، فأوحى الله عزّ وجلّ: إني خالق بشرًا خُشُعًا سُجُدًا يَحُنُّون إليك كما تحنُّ الحمامة إلى بيضها**»[1].

وما روى الفاكهي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: خلق الله تعالى البيت قبل الأرض والسمٰوات بأربعين سنة وكان غثاء على الماء. وما

(1) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، مَن اسمه محمد، حديث رقم (6606) [6/ 154]؛ وروى نحوه البيهقي في شعب الإيمان، الخامس والعشرين من شعب الإيمان...، حديث رقم (4001) [3/ 440] وهو من كلام كعب الأحبار؛ ورواه غيرهما.

روى الفاكهي أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: الكعبة خُلِقَت قبل الأرض بألْفَي عام، قيل: وكيف خُلِقت قبل الأرض وهي من الأرض؟ قال: إنها كان عليها ملكان يسبّحان الله تعالى بالّليل والنهار ألفي سنة، فلما أراد الله تعالى أن يخلق الأرض دحاها من تحت الكعبة في وسط الأرض، هكذا في الإعلام بتاريخ بلد الله الحرام، انتهى.

وما أخرج الجندي عن الزهري، قال: إذا كان يوم القيامة رفع الله الكعبة إلى بيت المقدس، فتمرّ بقبر النبيّ ﷺ فتقول: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فيقول النبيّ ﷺ: «**يا كعبة الله ما حال أُمّتي**[1]**؟ فتقول: يا محمّد أمّا مَنْ وَفِد إليّ فأنا القائمة بشأنه، وأمّا من لم يَفِدْ إليّ من أُمّتك فأنت قائم بشأنه، كذا في الدرّ المنثور**»[1]. وعن جابر رضي الله عنه، قال: قال عليه الصّلاة والسلام: «**زُفّت الكعبة إلى قبري فتقول: السلام عليك يا محمد، فأقول: وعليك السلام يا بيت الله ما صنع بك أُمّتي؟ فتقول: من أتاني فأنا أكفيه وأكون له شفيعًا، ومن لم يأتني فأنت تكفيه وتكون له شفيعاً**»[1].

وفي التشويق: قال وهب بن الورد: كنت أطوف أنا وسفيان الثوري بالبيت، فانقلب سفيان وبقيت في الطّواف، فدخلت الحجر فصلّيت تحت الميزاب، فبينما أنا ساجد إذ سمعت كلامًا بين أستار الكعبة والحجارة وهو يقول: يا جبريل أشكو إلى الله ثم إليك ما يصنع هؤلاء الطائفون من تفكّههم في الحديث ولغطهم وسهوهم، قال وهب: فعرفت أن البيت شكى إلى جبرائيل عليه السلام.

وقال عليّ بن مُوَفّق: دخلت في الحجر فسمعت البيت يقول: لَئِنْ لم ينته الطائفون حولي عن معاصي الله تعالى لأصرخنّ صرخة أرجع إلى المكان الذي جئت عنه، وفي الإحياء: لأنتفضنّ نفضة، وفيه أيضًا: إن الكعبة تُحشر كالعروس المزفوف وكل من حجّها متعلق بأستارها يسعون معها حتى تدخل الجنّة، فيدخلون معها.

(1) أورده السيوطي في الدّرّ المنثور، تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: الآية 127] [1/ 329].

ومما يدلّ أن حقيقة الكعبة غير الجدران والسقف والحجر والمدر كلام الشيخ محيي الدين بن العربي في الفتوحات المكّية، حيث قال: وكانت بيني وبينها في زمان مجاورتي بها مراسلات وتوسّلات وقد ذكرت ما كان بيني وبينها من المخاطبات في جزء سمّيته تاج الرسائل ومنهاج الوسائل يحتوي فيما أظنّ على سبع رسائل لكل شوط من الأشواط السبعة رسالة مني إلى الصفة الإلـٰهيّة التي تنجلي لي في ذلك الشوط، ولكن ما عملت تلك الرسالة ولا خاطبتها بها إلّا بسبب حادث، وذلك أني كنت عليها أفضل نشأتي، وأجعل مكانها في مجلى الحقائق دون مكانتي وأذكرها من حيث ما هي إلّا نشأة جمادية في أولى درجة من المولدات وأعرض عما خصّها الله به من أعلى الدّرجات، وذلك مني في حقّها لغلبة الحال عليّ، فلا شكّ أن الحقّ أراد أن ينبّهني عما أنا عليه من سكر الحال، فأقامني من مضجعي في ليلة باردة مقمرة فيها رشّ مطر، فتوضأت وخرجت إلى المطاف بانزعاج شديد، فقبّلت الحجر وشرعت في الطواف، فلما جئت إلى الميزاب رأيتها فيما خُيّل لي قد شمّرت أذيالها واستعدّت، فلما وصلت إلى الركن الشامي أرادت أن تدفعني بنفسها وترمي بي عن الطواف بها، وهي تتوعّدني بالكلام أسمعه بأذني، وأظهر الله لي فيها حرجًا شديدًا بحيث لم أقدر على البراح من موضعي ذلك، فتستّرت بالحجر ليقع الضّرب منها عليه، وجعلته كالمجنّ بيني وبينها، وأسمعها والله وهي تقول: كم تضع من قدري وترفع من قدر بني آدم وتفضّل العارفين عليّ، وعزّة من له العزّة لا أتركنّك تطوف بي، فرجعت إلى نفسي وعلمت أن الله تعالى يريد تأنيبي.

وقال: فوجدتها فيما خُيّل لي قد ارتفعت عن الأرض بقواعدها مشمّرة الأذيال كالإنسان إذا أراد أن يثب من مكانه يجمع عليه ثيابه وهي في صورة الجارية الحسناء لم أرَ أحسن منها ولا يتخيل لي أحسن منها، فشكرت الله على ذلك وزال الجزع الذي كنت أجده من الكعبة، فارتجلت أبياتًا في الحال في مدحها أخاطبها بها وأستنزلها عن ذلك الحرج الذي عاينته منها، فما زلت أثني عليها في تلك الأبيات والكعبة تتّسع وتنزل بقواعدها إلى مكانها وتُظْهِر السرور بما أُسمعها من مدحها إلى أن عادت إلى حالها كما كانت وأمّنتني، وأشارت إليّ بالطواف، فرميت بنفسي على المستجار وما فيّ مفصل إلّا وهو يضطرب

من قوّة الحال إلى أن سَرَتْ عني وصالحتها وأودعتها شهادة التوحيد عند تقبيل الحجر، فخرجت الشهادة في صورة ملك وانفتح في الحجر الأسود مثل الطاق حتى نظرت إلى طول الحجر فرأيته نحو ذراع، سألت عنه بعد ذلك من المجاورين فقال لي: رأيته كما ذكرت في طول ذراع الإنسان، ورأيت الشهادة مثل الكُبّة استقرّت في قعر الحجر وانطبق الحجر عليها وانسدّ ذلك الطاق وأنا أنظر إليه، فقالت لي: هذه أمانة عندي أرفعها لك إلى يوم القيامة، فشكرت الكعبة على ذلك.

ومن ذلك الوقت وقع الصلح بيني وبينها وخاطبتها بتلك الرسائل السبع فزادت فرحًا وابتهاجًا حتى جاءتني بشرى منها على لسان رجل صالح، قال: رأيت الكعبة البارحة في النوم وهي تقول: سبحان الله ما في الحرم من يطوف بي إلّا فلان، وسمّتك لي باسمك، وما أدري أين مضى الناس، ثم قمت ودخلت في المطاف وأنت طائف بها وحدك لم أر معك في الطواف أحدًا، قالت: انظر إليه هل ترى طائفًا آخر؟ قلت: لا، والله ولا أراه أنا، فشكرت الله على هذه البشرى من مثل ذلك الرجل، فتذكّرت قول رسول الله ﷺ: «**الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو تُرَى له**»[1] انتهى.

فإذا عرفت أنه ﷺ مُرَكّب من عالم الأمر والخلق فلا يردّ الاعتراض أيضًا على قول الشيخ رحمه الله تعالى في المكتوب السادس والتسعين من الجلد الثالث لما فتر تعيّنه الجسدي، وهو عالم خلقه بالموت قوي تعيّنه الروحي لكن كان لتعيّنه الجسدي بقيّة وهي توجّهه إلى العالم السفلي، فلمّا مضى ألف سنة زالت تلك البقيّة وغلبت روحانيّته ﷺ على بشريّته وعرجت الحقيقة المحمدية إلى الحقيقة الأحمدية وألحقت بها إلى آخره كما سيجيء تفصيله في جواب المكتوب السادس والتسعين إن شاء الله تعالى، بأنه متعلق على قوله فلا يرد فيما سبق.

---

(1) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، حديث رقم (479) [1/ 348]؛ ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب تعبير الرؤيا، حديث رقم (8179) [4/ 433]؛ ورواه غيرهما.

ثبت في الأحاديث أن جسد النبيّ ﷺ باقٍ لا يَفْنَى، لأن مراده بالفناء والزوال للجسد فناء صفاته البشرية وزوالها من الأكل والشرب والنوم والتوجّه إلى العالم السفلي وغير ذلك، لا زوال الجسد بالكلّية، بل صفاته، وأنه صار كالروح. وفي المكتوب الرابع والتسعين من الجلد الثالث أشار بزواله إلى أن معناه زوال توجّهه ﷺ إلى عالم الشهادة وغرقه في بحر مشاهدة جمال ذات الله تعالى، وترقّي درجاته ﷺ بعبادات أُمّته ودعائها له ورجوع ثوابها إليه ﷺ بمقتضى: **«من سَنّ سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عَمِل بها»**[1]. وفي عمدة المريد بجوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقاني قيل: إن الصلاة على النبيّ ﷺ لطلب نيل كمال في وسعة كرم الله تعالى مُعَلّق عليه؛ إذ لا غاية لفضل الله تعالى وإنعامه، فهو ﷺ دائم الترقّي في حضرات القرب وسوابق الفضل، ولا بدع أن يحصل له بصلاة أُمّته زيادات في ذلك لا غاية ولا انتهاء، وقد قال الإمام الغزالي: أما صلاة الله على نبيّه ﷺ وعلى المصلّين عليه فمعناه إفاضة أنواع الكرامات ولطائف النِّعَم عليه.

وأما صلاتنا وصلوات الملائكة عليه ﷺ في الآية فهو سؤال وابتهال في طلب تلك الكرامة ورغبة في إفاضتها عليه ﷺ؛ لأن اجتماع قلوب الجمع الجمّ له تأثير في الإجابة، كما في عرفة والجمعة والاستسقاء وغيرها، انتهى.

وفي كشف الأسرار لابن عباد رحمه الله: قيل لأبي عبد الله محمد النيسابوري أنه قال: أُمرنا بالصلاة والسلام على النبيّ ﷺ، فقيل: إنه ينتفع بدعائنا، قال النيسابوري: ألا ترى إلى قوله ﷺ: **«سلوا لي من الله تعالى الوسيلة»**[2] ليعلم أن الغنيّ بالحقيقة هو الله تعالى. وقال الحليمي: يجوز أن الله

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) جزء من حديث رواه الترمذي في صحيحه، باب في فضل النبي ﷺ، حديث رقم (3614) [5/ 586]؛ وابن حبان في صحيحه، ذكر الخبر المدحض قول مَن زعم أن عبد الرحمٰن بن جبير...، حديث رقم (1692) [4/ 590]؛ ورواه غيرهما ونصه: عن عبد الله بن عمرو أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذّن فقولوا مثل ما يقول المؤذّن ثم صلّوا عليّ، مَن صلّى صلاة ﷺ بها عشرًا ثم سَلُوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، ومَن سأل لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة».

تعالى جعل إعطاءه الوسيلة موقوفًا على دعائنا، وكذلك الشفاعة، انتهى بعبارته. فإذا أراد الله تعالى له ﷺ عزًا وشرفًا ودرجة وأفاض عليه الفيوض والرحمة فترقّى رتبته يومًا فيومًا حتى مضى بعد رحلته ألف سنة وتمّ الدور الكامل لون عالم خلقه بلون عالم أمره ﷺ، واتّحد به في اللطافة وخصّ الله تعالى عروجه إلى عالم أمره ﷺ بعد ألف سنة لأنه دور كامل مشتمل على مراتب الأعداد، وهي أربعة الآحاد والعشرات والمئات والألوف، ولأنه يكون ظهور سلطنة كل اسم من أسماء الله تعالى إلى ألف سنة، وإذا مضى ألف ظهرت غلبة اسم آخر إلى الألف الآخر، كذا ذكره الحسين بن معين الدين الميبدي في الفواتح ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: الآية 47]، وقال تعالى أيضًا: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝﴾ [السّجدَة: الآية 5]، وليكن هذا أيضًا من ذلك الأمر الذي دبّره في ألف سنة، ولهذا بعث أكثر أولي العزم بالترتيب، وكانت الفاصلة من بعث بعضهم إلى بعث بعض آخر ألف سنة، وروى الواقدي في المنتخب: كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون والقرن مائة سنة، وبين نوح وإبراهيم عليهما السلام عشرة قرون، وبين إبراهيم وموسى عليهما السلام عشرة قرون... الخ.

وهذه الحقائق التي كشفت للشيخ رحمه الله تعالى لا مؤاخذة عليه بحسب الشرع غايتها أنه ما قالها أحد، وفيها اصطلاح جديد، ولا مناقشة في الاصطلاح وفي عين العلم: العلم علمان: علم المكاشفة وهو نورٌ يظهر في القلب فيشاهَد به الغيب وهو متحقّق، فورد: إذا دخل النور في القلب انشرح وعاين الغيب وانفسح، أي احتمل البلاء وحفظ السرّ ولم يصرّح به لفقد الرواية، وورد: أن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله، انتهى. ولفظ: لفقد الرواية يدلّ صريحًا على أن بعض الكشوفات لا تدلّ عليه الرواية، وذكر في آخر الباب الأول في العوارف: ولا مشاحة في الألفاظ، انتهى. فظهر بطلان قول المعترضين.

الجواب الثاني لقولهم: وقال في المكتوب الثامن والثمانين من الجلد الثالث من مكتوباته: لأن أمّة كل نبيّ إنما يصلون إلى الله بوسيلته ووساطته

ونبيّها حائل بينها وبين الله تعالى إلّا فرد من أفراد هذه الأمّة، يعني نفسه، فإن نصيبه من الله تعالى بالأصالة من الذات العَليّة، انتهى.

اعلم أني وجدت في المكتوب المذكور هذه العبارة مع ألفاظ زائدة لا يلزم المحذور منها، وهي: أنه يوجد فرد من أفراد هذه الأمّة له نصيب من حضرة ذات الله تعالى بالأصالة من الولاية بلا حيلولة النبيّ ﷺ مع وجود تبعيّته له ﷺ، واعلم أن السالك إذا فرغ من السير إلى الله وشرع في السير في الله بمتابعته للنبيّ ﷺ ووساطته، فإذا جذبه الله إلي بكمال فضله وكرمه ارتفعت الوسائط كلها بينه تعالى وبين هذا المحبوب السالك حتى سمعه وبصره ورجله وجميع القوى الظاهرة، وهي وسائط وآلات ظاهره، ومع هذا يرفع الله تعالى منه هذه القوى الظاهرة، فإذا وصل العارف إلى هذه المرتبة يأخذ العلم من الله تعالى بلا واسطة، وهو العلم اللّدني، كما كان للخضر عليه السلام ونصيب بعض العارفين بالله تعالى ﴿مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: الآية 65]، ويقال لهذه المرتبة في اصطلاحهم قرب النوافل دلّ عليه ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ عن الله تعالى: **«ولا يزال عبدي المؤمن يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»**[1] الحديث، وقوله ﷺ: **«لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيٌّ مرسل»**[2]، فمن وصل إلى هذه المرتبة يجذبه الله إليه بفضله يأخذ المعارف والأسرار بلا واسطة من الله تعالى، فلا يلزمه شيء بقوله: أخذت العلم من الله بلا واسطة، فمن ينكر هذه المرتبة فهو ينكر الحديث الصحيح وما وقع في الفصوص في فص شيث عليه السلام مع شرحه لمولانا الجامي رحمه الله يدلّ على أخذ العارف الكامل العلم من الله تعالى بلا واسطة.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب التواضع، حديث رقم (6137) [5/ 2384]؛ وابن حبان في صحيحه، ذكر الإخبار عمّا يجب على المرء من الثقة بالله...، حديث رقم (2/ 58)؛ ورواه غيرهما.

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

عبارة الفصوص مع شرحه: فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه من العلم الذي يعطى صاحبه السكوت إلّا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دونهم من الأولياء وإن كان خاتم الأولياء تابعًا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع، فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا إليه من أن المرسلين لا يرون هذا العلم إلّا من مشكاة خاتم الأولياء، فإنه من وجه يكون أنزل مرتبة من الرسول الخاتم من حيث رسالته، كما أنه من وجه يكون أعلى، وقد ظهر في ظاهر شرعنا ما يؤيّد ما ذهبنا إليه من أن الفاضل يجوز أن يكون مفضولاً من وجه في فضل عمر في أسارى بدر بالحكم فيهم وفي تأبير النخل، فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء، وساق الكلام إلى أن قال: إنه ـ أي خاتم الأولياء ـ تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر، كما هو أخذ عن الله في السرّ بلا واسطة، انتهى. وسيجيء تفصيله في آخر الجواب الحادي والعشرين.

قال مولانا الجامي قُدّس سرّه في خطبة شرح الفصوص: أما بعد، فاعلم أن الحِكَم الفائضة من الحقّ سبحانه على قلوب جميع عباده وخُلّص عبيده على أنواعٍ منها ما يفيض عليهم بواسطة الملائكة المقرّبين بألفاظ وعبارات محفوظة عن التغيير مُرادة تلاوتها، وهو القرآن المُنَزّل على نبيّنا ﷺ بواسطة الروح الأمين، ومنها ما يفيض عليهم بواسطة أو بغير واسطة معاني صرفة أو معبّرة بعبارات غير متلوّة، ومن هذا القبيل الأحاديث القدسيّة، فهي إما ما فاضت عليه ﷺ معاني صرفة لكنه كساها أكسية عباراته الخالصة، أو بعبارات مخصوصة غير مُرادة ضبطها وتلاوتها، وهذا النوع ليس مخصوصًا بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل يعمّ الأولياء وصالحي المؤمنين. ومنها: ما يفيض من بعض الكُمّل على بعض، انتهى.

ونقصوا من كلام الشيخ أحمد رحمه الله لفظة بتبعيته بعد قوله: من الذات العليّة، فيصير الكلام معها هكذا، فإن نصيبه من الله تعالى بالأصالة من الذات العليّة بالتبعيّة، أي بتبعيّته للنبيّ ﷺ، انتهى. فحينئذ لا محذور فيه ولا قبح.

الجواب الثالث لقولهم: وقال: إن المطلوب من الدعوة هو المحبوب ـ يعني النبيّ عليه الصّلاة والسّلام ـ والباقون مطلوبون بتبعيته وبطفيليته إلّا فرد من أفراد أُمّته، فإنه ليس بتبعيّته، بل بمحض كرم الله تعالى.

اعلم أنهم غيّروا قول الشيخ رحمه الله بالزيادة والنقصان، وهو في الأصل هكذا التبعية في فرد الأمّة باعتبار التشريع، فإنه ما لم يتبع شريعة النبيّ ﷺ لم يصل إلى المطلوب وتبعيّة الأنبياء لنبيّنا صلوات الله وسلامه عليه وعليهم باعتبار أن النبيّ المتبوع ـ يعني محمدًا ﷺ ـ وصوله إلى تلك الدرجة العُلْيا أولاً وبالذات ووصول الأنبياء سواه إليها ثانياً وبالعرض لأن المطلوب من الدّعوة والضيافة هو المحبوب ويطلب غيره بطفيليّته وتبعيته، لكن كلهم جالسون على سفرة واحدة على تفاوت الدرجات ومستوفون للتلذّذات والتنعّمات عليها وأُممهم يحملون الزلّة التي تبقى بعد أكلهم على السفرة، ولا يجلسون مع الأنبياء على السفرة إلّا فرد من أفراد أُمّتهم وهو مخصوص، وجليس مجلس الأكابر كما مرّ، ومع ذلك الأمّة أمّة والنبيّ نبيّ، وإن وصل ذلك الفرد العزّ والعلوّ فهو الدولة التي وصلها بتبعيّته للنبيّ ﷺ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الصافات: الآيتان 171، 172] الآية، انتهى بألفاظه.

وقوله: إلّا فرد من أفراد أمّتهم مستثنى من قوله: وأممهم يحملون الزلّة، لا من قوله: والباقون مطلوبون بتبعيّته وبطفيليّته كما فهمه المعترضون بسبب تحريفهم عبارة الشيخ رحمه الله، وغرضهم بهذا التحريف إثبات القبح على الشيخ رحمه الله بعدم تبعيّته للنبيّ ﷺ الذي فهموه من العبارة التي غيّروها مع أن الشيخ رحمه الله ينادي بأعلى صوته بقوله: فإن من لم يتبع شريعة النبيّ ﷺ لم يصل إلى المطلوب كرّات ومرّات في أكثر مكتوباته، وهم صمٌ بكمٌ عميٌ لا يسمعون ولا يُبصرون مكتوباته بالإنصاف، مع أن الشيخ رحمه الله تعالى قيّد أكثر أقواله بتبعية النبيّ ﷺ وبالفرض والتقدير إن وجد قوله في بعض المواضع غير مقيّد بهذا القيد، فعلى المنصف الذكيّ أن يحمله على المقيّد، ولا يجوز تقبيح المسلم، فكيف من كان متّقيًا عالمًا صالحًا زاهدًا وَرِعًا؟

الجواب الرابع لقولهم: قال في المكتوب السابع والثمانين من الجلد الثالث: إن الله لم يجعل في حقي من أسباب التربية غير المعدّات، ولم يجعل العلّة الفاعلية في تربيتي غير فضله، ومن كمال كرمه وغيرته عليّ لم يجوّز فيّ حق أن يكون لفعل الغير مدخل في تربيتي، أو أن أتوجّه فيه إلى غيره تعالى، إني مرباه تعالى ومجتبى كرمه الذي لا يتناهى، انتهى.

اعلم أن الشيخ قُدّس سرُه أراد من الغير غير النبيّ ﷺ؛ لأنه صرّح بقوله: فإن لم يتبع شريعة النبيّ ﷺ لم يصل إلى المطلوب.

الجواب الخامس لقولهم: وقال في هذا المكتوب: إني مريد الله ومراده وسلسلة إرادتي متّصلة بالله من غير توسّط أحد، ويدي نائب يد الله، وأن سلسلة إرادتي وإن اتّصلت بمحمد رسول الله ﷺ بوسائط كثيرة في الطريقة النقشبندية والجشتية والقادرية إلّا أن إرادتي بالله متّصلة من غير واسطة محمد، فإني مريد لمحمد ورفيقه فإننا أخذنا عن شيخ واحد، انتهى.

اعلم أن لفظ المكتوب بدون التغيير الذي غيّروه بالنقص والزيادة فيه هكذا: إرادتي متّصلة إلى الله تعالى بلا واسطة، أي بلا واسطة غير النبيّ ﷺ، وإرادتي لمحمد ﷺ بوسائط كثيرة في الطريقة النقشبندية إحدى وعشرون، وفي الطريقة القادرية خمسة وعشرون، والجشتية سبعة وعشرون، وإرادتي بالله تعالى لا يرى فيها قبول الوسائط كما مرّ، فأنا أيضًا مريد محمد ﷺ، وأيضًا مرشدي ومرشده واحد ـ يعني الله تعالى ـ وأنا تابعه ﷺ، انتهى. فلا قبح فيه ومرّ جواب بلا واسطة في بيان قرب النوافل، وقولهم: «من غير واسطة محمد» افتراء عليه.

الجواب السادس لقولهم: وقال في هذا المكتوب أيضًا: إن طريقي سبحاني فإن طريقي التنزيه منه دخلت على الذات الأقدس لم ألتفت اسمه وصفته، ولكن قول سبحاني مني ليس كقول من أبي يزيد البسطامي، فإنه لا مساس لقوله بقولنا فإن قوله خرج من دائرة الأنفس، وقولنا وراء الآفاق والأنفس. وقوله كسى لباس التنزيه، وقولنا تنزيه لم يمسه غبار التشبيه، وقوله صدر عن السكر، وقولنا صدر عن عين الصحو، انتهى.

اعلم أن قول الشيخ أحمد رحمه الله تعالى: إن طريقي سبحاني أي منسوب إلى السبحان وهو تنزيه الله تعالى، والياء فيه للنسبة لا ياء المتكلم كما فهمه المعترضون. يا أيها العلماء رضي الله عنكم انظروا إلى هؤلاء المعترضين كيف يعترضون على الرجل العالم العامل المُتّقي وهم ما يُفَرّقون بين ياء المتكلم وياء النسبة؟ مع أنه رحمه الله صرّح بنسبة التقابل والتباين بين لفظ سبحاني الذي صدر عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله، وبين لفظ سبحاني الذي في مكتوبه لأنه فيه ياء النسبة، وفي سبحاني أبي يزيد البسطامي ياء المتكلّم، وهذا من قبيل تجنيس التلفيق، وكيف يجوز لهم تقبيحه بهذا العقل والإدراك الذي لا يُفَرّق بين ياء المتكلم وياء النسبة، مع أن عبارته تدلّ على ياء النسبة صريحًا وهي هذه: سلسلتي السلسلة الرحمانية وأنا عبد الرحمٰن وربي أرحم الراحمين فطريقي الطريق السبحاني، وذهبت من سبيل التنزيه وما أردت من الاسم والصفة إلّا الذات الأقدس تعالى. هذا السبحاني ليس كسبحاني الذي قاله أبو يزيد البسطامي؛ لأنه لا مَساس له بهذا السبحاني، لأنه خرج من دائرة الأنفس، وهذا ما وراء الأنفس والآفاق، وسبحاني أبي يزيد تشبيه لَبِسَ لباس التنزيه، وهذا السبحاني تنزيه محض ما وصله غبار التشبيه وذلك السبحاني يفور من منبع السكر، وهذا السبحاني نبع من عين الصحو، انتهى.

الجواب السابع لقولهم: وقال في المكتوب المُوَفّي مائة من الجلد الثالث: وإن كان محمدًا ﷺ لم يكن أحد يشاركه في الدولة الخاصّة به، إلّا أنه بعد تخليقه وتكميله ﷺ بقيت من طينته بقية جعلت خميرة طينتي فجعلوني بتبعيته ووراثته شريك دولته الخاصة، انتهى.

اعلم أنه ما وقع جعلوني بياء المتكلم في مكتوبه وهي محرفة، بل في مكتوبه هذه العبارة: وإن لم يكن أحد شريكه في هذه الدولة الخاصة المحمدية، لكن هذا القدر يدرك أن من دولته الخاصّة به ﷺ بعد تخليقه وتكميله بقيت بقيّة؛ لأن من لوازم أهل الكرم أن تبقى بقيّة في سفرتهم بعد أكلهم، وهي نصيب الخدام وتلك البقيّة أُعطيت لأحد أصحاب الدولة من أُمّته ﷺ وجعلها خميرة طينته فجعل شريك دولته الخاصة عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات، انتهى. ولا يلزم منه قبح على قائله، وقد فَهِمَ

المعترضون من هذه العبارة أنه ادّعى ختم النبوّة، كما صرّح به في آخر هذا السؤال في جوابه ونصّه. وقوله: إنه خلق من طينته وأنه شريك دولته الخاصة قبح ثامن؛ لأن دولته الخاصّة ليست إلّا ختم النبوّة ضرورة أن الرسالة والنبوّة والمحبة والخلّة والولاية غير مختصّة به ﷺ، انتهى.

انظروا يا إخواني كيف فهموا من هذا القول مع أنه صرّح في مكتوباته في مواضع كثيرة بأنه ﷺ خاتم الرسالة والنبوّة ومراده بالدولة الخاصة مرتبة الفناء الأتمّ، وهو مختصّ بالنبيّ ﷺ عند الصوفية بل المراد به التجلّي الدائمي كما صرّح به في كثير من مكاتيبه، ويكون لبعض أُمّته بتبعيّته ووراثته للنبيّ ﷺ أيضًا، فحينئذ يكون متخلّقًا بأخلاقه، وهو المراد بالطينة ويعطى له الوجود الوهبي، ويكون مع النبيّ ﷺ في الجنّة بموجب قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [النساء: الآية 69] الآية، وحديث: «المرء مع من أحب»، وهو الشركة في دولته الخاصّة، فمن يشنّع على من يريد بهذه المَعِيَّة التي تُفْهَم من الكتاب والسنّة الشركة معه ﷺ، فما حكمه؟ بَيِّنُوا تُؤْجَرُوا. والمراد بالطينة الأخلاق الحميدة الأصلية الحقيقية للنبيّ ﷺ، وإلّا لكان قبره عند قبر النبيّ ﷺ كما كان قبر الشيخين رضي الله عنهما. أخرج الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبيّ ﷺ: «خُلِقْت أنا وأبو بكر وعمر من طينة واحدة»، وأخرج البخاري في تاريخه وغيره: «أكرموا عمّتكم النخلة فإنها خُلِقت من طينة آدم»، انتهى.

ومن خلقة النخلة التي لا تساوي بني آدم في الفضل والكرامة من طينة آدم عليه السلام لا يلزم النقص في سيّدنا آدم عليه السلام، فكذا في النبيّ ﷺ، فكيف لا يتشرّف فرد من بني آدم بهذه الفضيلة، وهو أشرف من النخلة، ويحتمل أن الشيخ رحمه الله قال هذا باعتبار جدّه؛ لأن سيدنا عمر كان جسده بقيّة طينة النبيّ ﷺ، والشيخ من أولاده، وعلى تقدير التسليم على أن المراد بالطينة الطينة الحقيقية لا المجازية لا يلزم قبح بهذا القول الصادر من الشيخ رحمه الله أيضًا، لا سيما إذا قلنا: إنه لما كان للشيخ رحمه الله تعالى نسبتان جليلتان إحداهما نسبية، والأخرى حسبيّة؛ فالأوّل انتسابه إلى سيدنا عمر رضي الله عنه لأنه فاروقي، والثاني انتسابه إلى طريقة الصدّيق

رضي الله عنه، وهما رضي الله تعالى عنهما قد خُلِقا مع النبيّ ﷺ من طينة واحدة لِمَا جاء في الحديث، فيكون التخلّق الثابت لهما بلا واسطة ثابتًا له بالواسطة، ولذا صُبَّ له الفيض صَبًّا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وقوله: وإن لم يكن أحد يشركه فيها صريح بأنه لا يدّعي النبوّة ولا الشركة فيها، كما يفهم المعترضون.

الجواب الثامن لقولهم: وقال في المكتوب الثالث والسبعين ومائة من الجلد الأول: إن كل ما يصح أن يُرى ويُعلم نفي ذلك بكلمة «لا» ضروريّ، فالمطلوب المثبت ما وراء ذلك، ويلزم منه أن كل ما هو مشهود محمد ﷺ مستحقٌّ للنفي، فإنّ محمّدًا ﷺ مع علوّ شأنه كان بَشَرًا، والبشر متّسم بسِمَة الحدوث والإمكان وماذا يدرك البشر من خالق البشر، والممكن من الواجب والحادث من القديم جلّت عظمته، وكيف يحيط ولا يحيطون بشيء من علمه نصٌّ قاطع.

قال في الحديقة الندية: وكان الشيخ أبو إسحٰق الإسفرائيني يقول: جميع ما قاله المتكلّون في التوحيد قد جمعه أهل الحقّ في كلمتين: **الأولى**: اعتقاد أن كل ما تصوّر في الأوهام فالله تعالى بخلافه، **والثانية**: اعتقاد أن ذاته سبحانه ليست كالذوات ولا معطّلة عن الصفات. اهـ.

فانظر إلى إنصافه مع جلالة قدره حيث سمّاهم أهل الحقّ واستحسن كلامهم غاية الاستحسان، وهؤلاء الأراذل يمزقون عرض كُمّل أُمّة محمد ﷺ بهذا الكلام الذي استحسنه مثل من سمّي في علم الكلام بالأستاذ الإسفرائيني على الإطلاق، ونقل مثل أوليهما عن باب مدينة العلم كرّم الله وجهه حيث قال: كلّ ما خطر في بالك أو تخيّلته بخيالك فالله وراء ذلك.

وفي هذا المكتوب الذي هو في بيان كلمة لا إلٰه إلّا الله عبارته. سُئِل: إن كل ما يجيء في العلم والبصر نفيه بكلمة «لا» ضروري؛ لأن المطلوب المثبت ما وراء البصيرة والعلم، فيلزم منه أن مشهود محمد ﷺ أيضًا للنفي لائق، والمطلوب المثبت ما وراء ذلك متحقّق يا أخي أن محمّدًا ﷺ مع ذلك

الشأن العليّ بشر وبعلامة الحدوث والإمكان متّسم والبشر أي شيء يدرك من خالق البشر؟ وماذا يدرك الممكن من الواجب؟ وكيف يحيط بالقديم الحادث ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: الآية 110] نصٌّ قاطع في حق جميع الخلائق نبيًّا كان أو غيره، ولهذا قيل: سبحانك ما عرفناك حقَّ معرفتك، ولهذه الكلمة معنيان:

أحدهما: في نفي معرفته تعالى بالكنْه، **والثاني**: معنى ذكر لا إلـٰه إلّا الله، والمعنى الأول أن كل ما يصح أن يُرى في بصيرة أحد من البشر أو يُسمع أو يُعلم من المكاشفات والمشاهدات نفي ذلك بكلمة «لا» ضروري، فالمطلوب المثبت وهو ذاته تعالى وراء تلك المعرفة التي جاءت في بصيرته أو علمه؛ لأن الله تعالى وراء الوراء الذي خطر في بال البشر، ولا يعرف أحد كنه ذاته تعالى إلّا هو لأن ذاته وكمالاته غير متناهية، والسير في الله تعالى لا نهاية له، ولهذا قيل: سبحانك ما عرفناك حقّ معرفتك.

والمعنى الثاني: أن كل ما يُرى في بصيرة السالك أو يُعلم من الحوادث الكونية نفي الوجود الأصلي والحقيقي عنه بكلمة لا إلـٰه ضروري، ويثبت هذا الوجود الأصلي الحقيقي لما وراء ذلك الكون، وهو الله تعالى بإلّا الله، وكذا وقع في فصل الخطاب لخواجه محمد پارسا رضي الله عنه بعد الكرّاسين من أوّله في بيان ذكر لا إلـٰه إلّا الله أنه مركب من النفي والإثبات، فالذاكر في طرف النفي ينفي وجود جميع المحدثات الأصلي، وفي طرف الإثبات يثبت وجود القديم جلّ وعلا، انتهى.

فإذا علمت هذا أيّها المحقّق الصادق، فافهم أنه لا يلزم قبح لقائل هذا القول، وكيف يلزمه وهو عين الإيمان، وَجَمْعٌ كثير من الأولياء قائلون بالمعنيين اللذين بَيَّنْتُهما. قال المعترضون: وقوله: إن مشهوده ﷺ واجب النفي بلا مع دعواه أنه وصل إلى كنْه الذات البحت هو وولداه قبح سابع عشر، انتهى.

القول بوصوله إلى كنْه الذات تعالت افتراء عليه كما بيَّنته، وما قال الشيخ بهذه العبارة من أن مشهوده ﷺ واجب النفي بلا، ومقصوده رحمه الله تعالى

كما أنه لا يدركها أحد إلّا هو، وفي حق النبيّ أيضًا السير في الله غير متناهٍ وهو أيضًا دائمًا في الترقي في المشاهدات والتجلّيات والعلوم ليست منحصرة في حقّه أيضًا؛ لأن معلومات الله غير متناهية، كذلك ذاته تعالى وصفاته.

قال الصوفية: كان النبيّ ﷺ يترقى في كل يوم في معرفة الله تعالى وعلمه به من درجة إلى مائة درجة، ويستزيد فيها ولا ينحصر منها، ويستغفر من الحال الذي هي أدون بالنسبة إلى الحال الذي فوقه وينفيها لسِعَة استعداده ﷺ هكذا إلى غير النهاية دليل قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: الآية 114]، ولحديث مسلم عن الأغرّ المزني قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنه ليُغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»**[1] أي أنه ليغطى بأستار أنوار تجلّيات الله تعالى ومشاهداته على قلبي وإني لأستغفر الله تعالى من أنوار التجلّيات التي هي أدْوَن بالنسبة إلى الأنوار التي هي فوقها وأعلاها إلى غير النهاية. وفي الحديث: **«كل يوم لا أزداد علمًا يقرّبني من الله لا بورك لي في طلوع شمسه»**[2].

وقول المعترضين في بعض رسائلهم: ومن هذا النمط ما رأيته لحفيده من رسالة سمّاها بكشف الغطا، فإنه قال: رأيت النبيّ ﷺ وهو يقول: «كنت في هم أُمّتي يوم القيامة أني إذا شفعت لهم من يجوّزهم الصّراط ويوصلهم إلى الجنّة»، فلمّا رأيت هذا الرجل يشير إلى الشيخ أحمد السرهندي اطمأننت وذلك أني كلّما شفعت في طائفة من العُصاة أسلّمهم إليه فيوصلهم إلى الجنّة ويرجع، وأسلّم إليه طائفة أخرى فيوصلهم ويرجع، وهكذا إلى آخره، انتهى ما وجدته في رسالة كشف الغطاء، وهي موجودة هٰهنا في مكّة المُكَرَّمة. هكذا افترى المعترضون على الشيخ رحمه الله تعالى، وأيضًا في هذه الرسالة للمعترض أن أولاد الشيخ أحمد يلقّنون لمريديهم بأنه نبيّ وشريك في نبوّته ﷺ، هذا افتراءٌ عليهم.

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب استحباب الاستغفار...، حديث رقم (2702) [4/ 2075]؛ والحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء...، حديث رقم (1882) [1/ 691]؛ ورواه غيرهما.

(2) أورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أخلاق المعرفة [4/ 6] بلفظ: «إن يومًا لا أزداد فيه علمًا يقرّبني إلى الله تعالى لا بُورِكَ لي في طلوع شمسه»؛ ورواه الطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم (6636) [6/ 367] بلفظ: «إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علمًا فلا بُورِكَ في طلوع شمس ذلك اليوم». وروى نحوه الديلمي في الفردوس برقم (1255) [1/ 318].

الجواب التاسع لقولهم: وقال في المكتوب التاسع والأربعين من الجلد الثالث: لا يخفى أنه لما حصلت لي النسبة الحضورية بذات الواجب جلّ سلطانه لَزِمَ أن يكشف كنْه ذاته جلّ سلطانه وأن يعلم بكنْه ذاته كما هو، وهذا وإن كان مخالفًا لما هو مقرّر عند العلماء لكنه علمٌ حضوريٌّ متعلق بذات الواجب تعالى، فهو كالرؤية بالنسبة إلى ذاته، فالانكشاف موجود والدَّرْك مفقود.

اعلم أن هذا القول ليس في المكتوب المذكور، وما صرَّح به في المكتوب المُوَفّى مائة من الجلد الثالث يدلّ على خلافه، وهو نعم صاحب الدولة الذي مبدأ تعيّنه الاسم الجامع على سبيل الاعتدال على تفاوت الدرجات، ولو على سبيل الإجمال له من جميع اعتبارات الذات تعالت وتقدّست نصيب ورؤيته بجميعها متعلقة، لكن لما كان ضيق جامعية الإجمال الذي هو نصيبه لازمًا له دائمًا، فالإحاطة والدَّرْك في حقّه أيضًا مفقودة وكريمة: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: الآية 103] صادقة، وفيه أيضًا الذي هو معتقد هذا الفقير أن نصيب هذه النشأة الدنيوية إيقان؛ لأن رؤية البصر والمشاهدة التي هي عبارة عن رؤية القلب على تفاوت الدرجات نتيجة وثمرة مربوطة بالآخرة، وفي التعرّف: رؤية الله تعالى في هذه النشأة لا تكون بالبصر ولا بالقلب غير الإيقان، انتهى.

قلت: ما ذكره المعترض مذكور في المكتوب الثامن والأربعين من الجلد المذكور، لكن في قوله تحريف بالزيادة والنقصان، وعبارته الصحيحة أنه قال لما بيّن أن العلم المتعلّق بذات الواجب حضوري لا حصولي لا يخفى أنه إذا ثبت العلم الحضوري بالنسبة إلى ذات الواجب كما مرّ لزم أن يكون كنْه الذات منكشفًا ومعلومًا كما هو، وهو خلاف ما تقرّر عند العلماء. وأقول: هذا العلم الحضوري المتعلّق بالذات من قبيل الرؤية التي يثبتونها بالنسبة إليه تعالى، وهناك الانكشاف موجود والدَّرْك مفقود، وكذا هنا الانكشاف موجود والدَّرْك مفقود... الخ، وليس فيه ذكر نفسه لا بحصول الحضور ولا بغيره، فانظروا كيف بدّلوا وحرّفوا مثل اليهود عليهم ما يستحقّونه اهـ.

وبالفرض والتسليم المتكلّمون قائلون بمعرفة كنْه ذاته تعالى كما ذكر في شرح الطوالع لعبد الله أبي القاسم البيضاوي في معرفة ذات الله تعالى: فذهب الحكماء والغزالي منّا إلى أن الطاقة البشرية لا تفي بمعرفة ذات الله تعالى؛ لأن معرفة ذاته تعالى إمّا بالبداهة أو بالنظر؛ وكل منهما باطل. **أما الأول**، فلأن ذاته تعالى غير متصوّر بالبداهة بالاتّفاق. **وأما الثاني**، فلأن المعرفة المستفادة إما بالحدّ أو بالرسم، وكل منهما باطل. أمّا الحد، فلأنه تعالى بسيط. وأما الرسم، فلأنه لا يفيد الكنْه. وخالف المتكلّمون الحكماء ومنعوا الحصر، فإنا لا نسلم أن طريقة المعرفة منحصرة في البديهة والنظر، فإنه يجوز أن يُعرف بالإلهام وتصفية النفس وتزكيتها عن الصّفات الذميمة وألزمهم المتكلّمون بأنّ حقيقته تعالى هو الوجود المجرّد، وهو معلوم عندهم بالبديهة. والحق أن هذا الإلزام ليس بصواب، فإن حقيقته تعالى عندهم هو الوجود الخاص، والوجود المعلوم هو الوجود المطلق العارض للوجود الخاص، ولا يلزم من العلم بالعارض العلم بالمعروض، انتهى. فإن كانوا قائلين بمعرفة كنْه ذاته تعالى، فلا محذور فيه.

الجواب العاشر لقولهم: قال في الهداية التاسعة عشر من كنز الهدايات مخاطبًا لولديه: لم يزل داعي الوصال ينادي في سرّي: أجب السلطان فإنه يدعوك فطار طير همّتي إلى باب القدس، فوصلت إلى سرادق عال، فقيل لي: السلطان ليس في البيت، فعلمت أن ذلك مقام حقيقة الكعبة الربّانية فأسرعت إلى ما وراء ذلك وعرجت إلى مقامات الصفات الحقيقية الموجودة بوجود زائد، وهي وراء الصور العلمية للصفات في مرتبة التعيّن الحبّي، فعرجت عنه إلى أصول الصفات، وهي الشؤون الذاتية والاعتبارات المحضة في ذاته تعالى، ثم إلى الذات البحت المجرّدة عن النسب والاعتبارات، وأنتما أيها الأخوان ـ يعني ولديه ـ كنتما معي في كل مقام من تلك المقامات، انتهى.

اعلم أن كنز الهدايات ليس من مصنّفات الشيخ رحمه الله تعالى وعلى تقدير التسليم لا يلزم من هذا القول على قائله شيء؛ إذ يظهر للسالك في السير إلى الله، وفي الله المشاهدات والمكاشفات وهي وراء طَوْر العقل، فيعجز الناس عن فهمها وهو يذكر لمريديه ومحبّيه بموجب: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾

[الضحى: الآية 11]، أو بغلبة السكر، وكثير من الأولياء ذكروها من هذا القسم فلا محذور فيه.

الجواب الحادي عشر لقولهم: وقال في المكتوب الخامس والتسعين من الجلد الثالث: ولايتي وإن كانت مرباة الولاية المحمّدية والموسوية ومتطفّلة على ولايتهما لكنها جامعة لهما ومركّبة من نسبتي المحبة والمحبوبية، فإن محمدًا ﷺ رئيس المحبوبين وموسى رئيس المحبّين، لكن في ولايتي أمر آخر ومعاملة على حدة بذلك الأمر مربوطة، بحيث إن أصلها من الولاية الناشئة بالأصالة عن المحبوبية الصرفة وانضمّت إليها ولاية موسى الناشئة عن المحبة الصرفة وانصبغت بلونها أيضًا، وصارت وجودًا آخر وحقيقة أخرى، وأثمرت ثمرة أخرى وأنتجت نتيجة أخرى، انتهى.

اعلم أنه لا يلزم منه أن ولايته أجمع من دائرة ولاية محمد وموسى عليهما الصّلاة والسلام، وليس في قوله لفظ أجمع اسم التفضيل، بل فيه أن ولايتي وإن كانت مرباة الولاية المحمدية ﷺ، وولاية موسى عليه السلام وبطفيلهما ولايتي مركبة من نسبتي المحبوبية والمحبّية ورئيس المحبوبين سيّدنا ومولانا محمد ﷺ، ورئيس المحبّين سيّدنا موسى عليه السلام، ولكن المعاملة مع ولايتي بوسيلة متابعة خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام أمر آخر ومعاملة على حدة بها مربوطة، وإن كان أصل هذه الولاية ولاية نبيّ ﷺ، وهي الولاية المحمّدية التي منشأها بالأصالة النسبة المحبوبية الصِّرْفة، ولكن لما انضمّ إليها نشأة الولاية الموسوية التي نشأت بالأصالة عن المحبّية الصرفة وانصبغت بِلَوْنها أيضًا صارت وجودًا آخر، بل حقيقة أخرى، وأثمرت ثمرة أخرى، انتهى. يعني لولايته مناسبة بهما ومزج بوجهٍ بهما ونشأت منهما وهما أصلها وهي فرعهما، ولا محذور فيه.

الجواب الثاني عشر لقولهم: وقال في المكتوب الثالث والتسعين من الجلد الثالث بعد ما ذكر نحوًا من ذلك: وهذا المركز أيضًا يُتَصَوَّر بصورة دائرة مركزها المحبوبية الممتزجة مع المحبّية، وهي نصيب فرد من أفراد أُمّته ـ يعني نفسه ـ انتهى.

اعلم أن الذي فيه هذه العبارة ومحيطها المحبوبية الممتزجة مع المحبّية وهي نصيب فرد من أفراد أُمّته بتبعيّته له ﷺ، بل بتبعيّته أيضًا للولاية الموسويّة على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام، فلا قبح فيه. وترك المعترضون لفظ بتبعيّته له ﷺ.

الجواب الثالث عشر لقولهم: ثم قال: وليعلم أن محيط هذه الدائرة له تقدم كثير على الدائرتين وهي أقرب إلى الله بكثير، انتهى.

اعلم أن هذه العبارة ليست في هذا المكتوب، وبالفرض والتسليم لا محذور فيه أيضًا، لأن الدائرة الأُولى دائرة العلم والثانية له دائرة الخلة والثالثة دائرة المحبوبية وهي أقرب إلى الله تعالى.

الجواب الرابع عشر لقولهم: وقال في المكتوب التاسع عشر من الجلد الثالث: كانت الأنبياء والمرسلون يفرّون من البلاء وإنّا في عين البلاء في عافية، انتهى.

اعلم أن في المكتوب المذكور هكذا: واجتنبوا عن البلاء ما استطعتم، فإن الفرار مما لا يطاق من سُنَن المرسلين عليهم الصلوات والتسليمات، ونحن في عين البلاء مع عافية، فللّه سبحانه الحمد، انتهى بألفاظه. يعني به أن البلاء الذي لا يُطاق الفرار منه سنّة. وأما الصبر في البلاء المطاق، فالصابر فيه يُثاب، وأيضًا الصابر في البلاء الذي لا يقدر أن يفرّ منه يُثاب ومن كان في مقام الرّضاء فالبلاء عنده راحة ونِعْمة، قال الله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ [الأنفال: الآية 17]، ومثل هذه الاعتراضات لا يوردها من له أدنى دراية وديانة، وقِسْ على هذا غيره من الاعتراضات في رد الشيخ رحمه الله بتغيير عباراته.

الجواب الخامس عشر لقولهم: وقال: لا كرامة أجلّ مما بيّنته من الحقائق والمعارف التي تعجز الناس عن بيانها، وهل كانت معجزة الرسول ﷺ إلّا كلامًا معجزًا، انتهى.

اعلم أن هذه العبارة ليست في المكتوب التاسع عشر، وبالفرض والتسليم إن هذا الكلام من الشيخ رحمه الله لا محذور فيه، لأنه ما شبّه

كلامه بالقرآن، بل الحقائق والمعارف في حقّ عدم درك كنهها وشبّهها به ببعض الوجوه والخارق للعادات من الأولياء هو معجزة النبيّ ﷺ، فلا يجوز تشنيعه بهذا القول كما شنّع عليه المعترضون بقولهم في آخر السؤال وهو قوله: هل معجزة محمّد ﷺ إلّا كلام معجز وتشبيه كلامه بالقرآن في الإعجاز قبح رابع عشر.

الجواب السادس والسابع عشر لقولهم: وقال في المكتوب الثاني من الجلد الأول: الصفات السبعة إما ممكنة أو واجبة لا سبيل إلى الأوّل لاستلزام حدوثها وعدم اتّصاف الحقّ بها أزلاً ولا إلى الثاني؛ لأن الواجب الوجود لذاته واحد، ولقولهم: ثم قال: وحلّ هذا الإشكال على ما أظهروه لهذا الفقير، وهو أن الله تعالى موجود بذاته لا بالوجود، لا على أن الوجود عينه، ولا على أنه زائد وصفات الواجب تعالى موجودة بذاته لا مجال للوجود في ذلك الموطن. قال الشيخ علاء الدولة: فوق عالم الوجود عالم المُلْك الودود فلا يُتَصوّر نسبة الإمكان والوجوب أيضًا في ذلك الموطن؛ لأن الإمكان والوجوب نسبة بين الماهيّة والوجود، فحيث لا وجود لا إمكان ولا وجوب، وهذه المعرفة وراء طور النظر والفكر، انتهى.

اعلم أنّ هذا القول ليس في هذا المكتوب.

قلت: هذا الكلام في المكتوب الثاني من الجلد الثاني، وقد ذكر في كثير من مكاتيبه أنه تعالى موجود بذاته ولا محذور في كلامه كما بيَّنه صاحب الرسالة هذه، وفي المكتوب الثاني والعشرين ومائة من الجلد الثالث ما نصّه: وهو حضرة الحقّ سبحانه موجود بذاته لا بوجود، لأن للوجود بل للوجوب لا مدخل في تلك المرتبة، لأن الوجود والوجوب كلاهما من الاعتبارات، وأول الاعتبارات الذي ظهر لإيجاد العالم هو الحبّ، والثاني اعتبار الوجود وهو مقدمة الإيجاد؛ لأن حضرة الذات تعالَتْ بلا اعتبار هذا الحب، وبلا اعتبار هذا الوجود له استغناء عن العالم وإيجاده والتعيّن العلمي الجملي ظلّ ذينك التعينين باعتبار أنهما للذات بلا ملاحظة الصفات، وفي هذا التعين العلمي الجملي ملاحظة الصفة وهي كالظل للذات جلّ شأنه، انتهى.

ولذاته تعالى تقدّم ذاتي على صفاته، والوجود العام صفة من صفاته تعالى وموطن الذات مُقَدَّم على موطن الصفات تقدّمًا ذاتيًّا، فيصح قول من يقول: الوجود ليس في موطن الذات ولا يُحمل عليها في ذلك الموطن؛ لأن في ذلك الموطن لا يعتبر شيء، لأن مرتبة اللاتعيّن والذات البحت والذات المقتضي ـ بكسر الضاد ـ مُقَدَّم على الوجود العام المقتضى ـ بفتح الضاد ـ والوجود الذي ينفي عن الذات جلّ شأنه هو من المنتزعات العقلية والمعقولات الثانية، فلا محذور فيه مثلاً ذات الجسم مقدَّم على وجود البياض ومقابله، فيصحّ أن يقال: الجسم باعتبار تلك المرتبة السابقة على البياض لا أبيض ولا لا أبيض، فإن قلت: الجسم في الخارج أبيض فكيف يكون في الخارج لا أبيض ولا لا أبيض؟ قلت: هو في الخارج أبيض بعد تحقّق البياض فيه، ولكنه في المرتبة السابقة على البياض لا أبيض ولا لا أبيض، وليس ذلك من ارتفاع النقيضين المستحيل؛ لأن المستحيل ارتفاعهما بحسب نفس الأمر مطلقًا لا بحسب مرتبة من المراتب، فإن الأمور التي ليست بينهما علاقة التقدم والتأخّر، والمعيّة ليس لبعضها في مرتبة الآخر وجود ولا عدم هكذا في الحاشية القديمة.

الجواب الثامن عشر لقولهم: وقال في بعض مكاتيبه في المكتوب 216 من الجلد الأول: إن عبد القادر قُدِّس سرُّه نزوله كان إلى مرتبة الروح فقط، وأنه ينقص في الإرشاد إذ كلما كان النزول أتمّ كان الإرشاد أكمل، انتهى.

اعلم أن هذا كذب وفرية بلا مَرِيَة في أي مكتوب قاله، وبالفرض والتقدير لا يلزم قبح لقائل هذا القول.

الجواب التاسع عشر لقولهم: وقال في المكتوب الرابع والتسعين من الجلد الثالث: وما يقال من أن الأنبياء لا يحتاجون إلى الاستمداد، وأن الكمالات حاصلة لهم بالفعل صريح المكابرة.

اعلم أن هذه العبارة ليست فيه وإن كانت بالفرض والتقدير، فمراده أن الأنبياء والرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم كلّهم محتاجون إلى رحمة الله وفضله؛ لأن في الحديث الصحيح أن لله مائة رحمة أما واحدة منها فبثها في الدنيا وادّخر تسعة وتسعين للآخرة، وفيه أيضًا: «**سَلُوا لي الوسيلة**»[1].

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

الجواب المُوَفّي عشرين لقولهم: وقال في المكتوب الثامن والثمانين من الجلد الثالث: وجود العالم ونظامه كلاهما مربوطان بالخلّة، وهي أبرك الأشياء، وبركاتها شاملة للموجود والمعدوم، وهي بالأصالة مخصوصة بإبراهيم عليه السلام، وولايتها ولاية إبراهيمية، وأن الوصول إلى حضرة الذات تعالت وتقدّست بدون توسّط التعين الأوّل الوجودي، وبدون التوسّل بجميع كمالات الولاية الإبراهيمية غير ميسّر لأن أول قُباب المرتبة الحضرة القدسية هي لأنها مرآة غيب، وليس لأحد بدّ من توسّطه، ولهذا أمر خاتم الأنبياء بمتابعته يصل بمتابعته إلى ولاية نفسه، ومنها يتبختر إلى حضرة الذات، انتهى.

اعلم أنهم تركوا منه بعض عبارته وبيانه ودفع إشكاله سيجيء في الجواب الآتي، إن شاء الله تعالى.

الجواب الحادي والعشرون لقولهم: وقال في المكتوب الرابع والتسعين من الجلد الثالث: إن التعيّن الأول وهو التعيّن الوجودي منشأ الولاية الإبراهيمية، وفوق ذلك مرتبة الذات الأقدس التي لا يسعها شيء من التعيّنات، لكن سرّها ودعت في مركز دائرة التعيّن الأول، وهو منشأ الولاية المحمدية وجمال محيط الدائرة يشبه الصباحة، وجمال المركز يشبه الملاحة وهي فوق الصباحة، فالوصول إلى الملاحة إنما يُتَصوّر بعد طيّ مراتب الصباحة، وما لم يتيسّر الوصول إلى جميع المقامات الإبراهيمية لا يمكن الوصول إلى الذروة العُلْيا التي هي الولاية المحمدية ولا يتيسّر ومن هنا أمر النبيّ ﷺ بمتابعة ملّة إبراهيم ليصل إلى ولايته التي عبر عنها بالملاحة بتوسّل الوصول إلى الولاية الإبراهيمية، ولما لم يكن للنبيّ ﷺ مناسبة بالولاية الإبراهيمية لكون مكانه الطبيعي نقطة مركز دائرة الولاية الخليلية وسيره مقصور على رأس مركز تلك الدائرة، فبالضرورة وصوله إلى محيط الدائرة واكتساب كمالات تلك المحيط تعسر عليه؛ لأنه خلاف مقتضى طبعه؛ فلا بدّ من متوسّط من أفراد أُمّته يكون له بتبعيّته مناسبة في عين المركز، وله من طريق آخر مناسبة بمحيط الدائرة ليكتسب ذلك الفرد كمالات تلك المرتبة الحقيقية ويتحقّق بحقيقتها، ثم بتوسّطه يحصل للنبيّ ﷺ تلك الكمالات ويتحقق بها فيتحقّق بعد ذلك بكمالات نفسه ﷺ بمقتضى «**مَن سَنّ سُنَّة فله أجرها وأجر**

مَن عَمِل بها»[1] فجاء هذا الفرد وناسب محيط الدائرة وحصَّل الكمالات الإبراهيمية، وإنما حصلت هذه المرتبة الثانية من الولاية الموسوية، فحصل هذا الفرد الولاية العظمى الجامعة لكمالات المركز والمحيط فحصل للنبيّ ﷺ بتوسّط هذا الفرد كمالات محيط الدائرة وتيسّرت له ولاية الخلّة وحصلت له ولاية المحبوبية وهي ولايته ﷺ قبل دعائه ﷺ بقوله: «اللّهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم» بعد ألف سنة، انتهى

اعلم أنّا نذكر ألفاظه المغلقة ليندفع إشكال المحترفين عليه لعدم فهمهم، ويظهر تحريفهم العبارة من هذا المكتوب: إذا كانت الملاحة فوق الصباحة، فالوصول إلى الملاحة بعد طيّ مراتب الصباحة، ولا يتيسّر الوصول إلى حقيقة هذه الولاية التي هي الذروة العُليا، والولاية المحمدّية على صاحبها الصلاة والسلام والتحيّة حتى يصل إلى جميع مقامات الولاية الإبراهيمية، أي جميع المقامات التي يتوقّف عليها حصول الولاية المحمدية، ومراده بالملاحة الولاية المحمّدية، وبالصباحة الولاية الإبراهيمية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، وبحقيقة هذه الولاية كنهها مع كنه جميع فروعها، والولاية المحمدية هي أصل جميع الولايات ومرجعها ومركزها وفوقها، وكل الولايات لجميع الأنبياء والرُسل مندرجة فيها ونشأت منها وولاياتهم عليهم الصلاة والسلام أجزاء ولايته ﷺ، ولكل جزء منها مقامات ومراتب وكانت حاصلة لنبيّنا ﷺ بعضها تفصيلاً وبعضها إجمالاً، وكانت جميع مقامات الإبراهيمية حاصلة له ﷺ تفصيلاً إلّا بعض شؤوناتها، وهو كان حاصلاً له ﷺ مجملاً، ونسبة ذلك البعض إلى الولاية المحمدية كنسبة الورقة إلى الشجرة، والشعرة إلى الإنسان، والقطرة إلى البحر، بل أقلّ قليل، فإذا لم تكن تلك الورقة والشعرة والقطرة في الشجر والإنسان والبحر مع أنها أجزاء منها لا تكون ناقصة لا في العقل ولا في النقل، فإن حصلت تلك الورقة والشعرة والقطرة لها بواسطة شيء لا يتصوّر أنه كملها وكانت ناقصة، وكذا لا يقال غير المؤمن لمن لا يرفع الحجر والمدر عن الطريق، مع أن في الحديث الصحيح: «**الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة أعلاها قول**

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

لا إلـه إلّا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[1]، والحاصل أن لكل شيء أجزاء مقوّمة وأجزاء غير مقوّمة له، كالشعر للإنسان والورق للشجر، وتمامية دائرة الخلّة بحصول الجزء الغير المقوّم لا بحصول المقوّم، وفي بعض المكاتيب من الجلد الثالث صرّح بأن الحقيقة المحمدية حقيقة الحقائق وغيرها أجزاء لها، انتهى.

والعاقل تكفيه الإشارة، ولهذا أمر خاتم الرسل بمتابعة ملّة إبراهيم ﷺ ليصل ﷺ بوسيلة هذه المتابعة لحقيقة ولايته بمقدار فضله واستعداده ﷺ عند الله تعالى، ومنها إلى حقيقة ولايته التي عبّر عنها بالملاحة، والمراد بحقيقتها كنهها مع كنه جميع فروعها وشؤونها كما مرّ، ولمّا كان لنبيّنا ﷺ مناسبة ذاتية أتمّ بمركز دائرة ولاية الخلّة الذي هو أقرب إلى حضرة إجمال الذات وبمحيطها الذي هو تفصيل كمالات الذات تعالت، أقول المراد بالمركز الأصل والمرجع والمُقدّم والمقرّ والحيّز الطبيعي كما مرّ، وولاية كل نبيّ ووليّ جزء ولاية نبيّنا ﷺ، ولكل نبيٍّ ووليٍّ وصلت الولاية منها، وهو ﷺ الكل، وهي لكل وليّ بطريق الظلّية واستهلاك الظلّ بالأصل لا يقال له كماله، وأشار بالمركز إلى الوحدة والبساطة، وبالقرب إلى الأحدية، فما لم يتحقّق بكمالات محيط تلك الدائرة مفصّلاً بقدر فضله واستعداده عند الله تعالى بحصول ذلك الشأن الواحد المجمل كما مرّ، مع أن جميع المقامات والشؤونات كانت حاصلة له ﷺ تفصيلاً بمقدار فضله، إلّا ذلك الشأن الواحد المجمل لا تتمّ ولاية الخلّة تفصيلاً بمقدار فضله واستعداده عند الله تعالى، ولفظ لا تتمّ يدلّ على أن ولاية الخلّة كانت حاصلة له ﷺ مجملاً، ولهذا جاءت في الصلاة المأثورة: **«كما صلّيت على إبراهيم»**[2] أي جاء فيها كما صلّيت الخ، ومعناها: اللّهمّ صلّ على محمد

---

(1) رواه ابن حبّان في صحيحه، ذكر البيان بأن قوله ﷺ: «الإيمان بضع...»، حديث رقم (191) [1/ 420]؛ والطبراني في المعجم الأوسط، مَن اسمه مقدام، حديث رقم (9004) [9/ 20]؛ ورواه غيرهما.

(2) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدّة منها: باب قوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ﴾ [الحجر: الآية 51] ...، حديث رقم (3190) [3/ 1233]؛ والحاكم في المستدرك في بابين أحدهما: باب التأمين، حديث رقم (824) [3/ 24]؛ ورواه غيرهما.

بمقدار فضله واستعداده عندك كما صلّيت على إبراهيم بمقدار فضله واستعداده عندك.

اللّهمّ أعطِ مرتبة خلّتك محمّدًا بمقدار فضله واستعداده عندك كما أعطيتها إبراهيم بمقدار فضله واستعداده عندك حتى تتيسّر كمالات الولاية الإبراهيمية بتمامها أيضًا له ﷺ مفصّلاً بمقدار فضله واستعداده عند الله تعالى، ولفظ بتمامها أيضًا يدلّ على حصولها له ﷺ مجملاً كما كانت حاصلة لصاحبها بمقدار فضله واستعداده عند الله تعالى.

ولمّا كان المكان الطبيعي للولاية المحمدية مركز دائرة الولاية الخليلية وسيره ﷺ أيضًا مقصورًا على السير المركزي لتلك الدائرة تعسّر خروجه ﷺ منه ودخوله فيها لاكتساب كمالاتها، أي اكتساب تفصيلها، وهذه العبارة تدلّ على حصول الولاية المحمدية للنبيّ ﷺ وحصولها يدلّ على حصول الولاية الإبراهيمية للنبيّ ﷺ؛ لأن الولاية الإبراهيمية موقوفٌ عليها حصول الولاية المحمدية وحصول الموقوف يدلّ على حصول الموقوف عليه ووجوده وخروجه منه خلاف مقتضى الطبيعة لأنه الحيّز الطبيعي له ﷺ؛ فلا بدّ أن يكون فرد من أُمّته ﷺ متوسّطًا كائنًا بتبعيّته ﷺ في عين المركز، ومن طريقٍ آخر له مناسبة بمحيط تلك الدائرة أشار بقوله: من طريق آخر الخ، إلى قول الصوفية بأن كل وليّ من أُمّته ﷺ على قلب نبيّ من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين. وفي بحر المعاني قال النبيّ ﷺ: «**إن لله تعالى في الأرض ثلاثمائة وليًا قلوبهم على قلب آدم عليه السلام وله أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام، وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام، وله خمسة قلوبهم مثل قلب جبريل عليه السلام، وثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام، وله واحد قلبه مثل قلب إسرافيل عليه السلام، بهم يرفع الله تعالى البلاء عن هذه الأمّة**»(1) حتى

(1) روى نحوه الديلمي في الفردوس، فصل حديث رقم (703) [1/187] ونصّه: «إن لله عزّ وجلّ ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم وله أربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب إسرافيل فإذا مات الرجل الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة فبهم يحيي ويُميت ويُمطر ويُنبت ويدفع البلاء». ورواه أبو نعيم الأصبهاني في حلية=

يكتسب كمالات تلك المرتبة التي هي ذلك الشأن المجمل غير المقدم وغير الوقوف عليه الذي نسبته إلى الولاية المحمدية لنسبة القطرة إلى البحر، وهذا الفرد بمنزلة الآلة كالسيف للمجاهد، فالقاطع هو المجاهد ويسند القطع إلى السيف مجازًا، أو كالخادم بالنسبة إلى المخدوم، أو كالخازن بالنسبة إلى الملك، ولا محذور في اكتساب المخدوم والملك شيئًا بواسطة الخادم والخازن ويتحقّق بها، والنبيّ المتبوع بحكم «من سَنّ سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عَمِل بها» بتوسّط وصوله وخدمته وتبعية نبيّه ﷺ إليها يتحقّق بتلك الكمالات، وهي تفصيل الخلّة بمقدار فضله وشرفه ﷺ عند الله تعالى أيضًا، وتتمّ له المرتب الولاية الخليلية مع ذلك الشأن المجمل غير المقدم الذي كانت جميع مقامات الولاية حاصلة له ﷺ سواه.

والأعمال الصالحة للنبيّ ﷺ قسمان: قسم بالمباشرة بها، وقسم غير المباشرة بها وهي الأعمال الصالحة لنبيّ ﷺ بمباشرة أُمّته بها بموجب **«من سنّ سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»**[1] وكذلك سائر الكمالات والفضائل قسم منها حصل له ﷺ حالَ حياته، وقسم حصل له ﷺ بعد مماته، ولا يزال يحصل إلى يوم القيامة بواسطة أُمّته كفتوح البلدان وإظهار دينه على سائر الأديان وانتشاره إلى أقطار الأرض واستنباط الأحكام وتدوين العلوم إلى غير ذلك ممّا لا يخفى على أحد، وللنبيّ ﷺ يتيسّر كمالات محيط تلك الدائرة بمقدار فضله واستعداده عند الله تعالى بحصول ذلك الشأن المجمل، وإنْ كانت حاصلة له ﷺ مفصّلة غير ذلك الشأن، وتمّت الولاية الخليلية أيضًا له ﷺ بإلحاق ذلك الشأن المجمل غير المقدم الذي يدلّ عليه لفظة تمّت، ونسبته إلى الولاية المحمدية كنسبة القطرة إلى البحر.

= الأولياء، في ترجمة خليفة رسول الله ﷺ سيّدنا أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه [1/ 8]؛ ورواه غيرهما.

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب مَن سَنّ سُنّة حسنة أو...، حديث رقم (18044) [10/ 3190]؛ ورواه ابن ماجه في سننه، باب مَن سَنّ سُنّة حسنة أو...، حديث رقم (203) [1/ 74]؛ ورواه غيرهما.

ودعاء اللّهمّ صلّ على محمد كما صلّيت على إبراهيم قرن بالإجابة بمقدار فضله واستعداده بعد ألف سنة بدعاء الأمّة لحصول ذلك الشأن المجمل غير المقدّم لا لغيره من الكمالات؛ لأنها كانت حاصلة له ﷺ مفصّلاً، والكمالات حاصلة له ﷺ في السير في الله الآن أيضًا يومًا فيومًا؛ لأن السير في الله غير متناهٍ وكمالاته وفيوضه تعالى لا تُحْصَى ولا تُعَدّ، وبدعاء أُمّته له ﷺ أفاض الله عليه التجلّيات الغير المتناهية كما مرّ بيانه من كتاب عمدة المريد للشيخ إبراهيم اللقاني، ومن كشف الأسرار لابن العماد فليراجع إليه في آخر الجواب الأول حتى يظهر الحق، وللنبيّ ﷺ بعد تمام ولاية الخلّة معاملة بالسرّ والنشأة الذي أودع في المركز الذي عبّر بالملاحة وفوّض النبيّ ﷺ حراسة أُمّته ومحافظتها إليه لإرشادهم إلى صراط مستقيم في زمانه واستغرق في مشاهدة جمال غيب الغيب واشتغل بالمحبوب، والله أعلم.

حاصله: أن للنبيّ ﷺ عروجًا ونزولاً، فعروجه في حين حياته ﷺ من عالم الشهادة إلى عالم المثال، ومنه إلى عالم الملكوت والأرواح، ومنه إلى مرتبة الواحدية، ومنها إلى الوحدة وهي المسمّاة بالحقيقة المحمدية وعالم الشؤونات وهي مركزه وحقيقته ﷺ وإجمال ذاته تعالى، وهذه المرتبة خاصّة بنبيّنا ﷺ ولبعض أفراد أُمّته نصيب منها بطفيله ﷺ، وهذا العروج من عالم الكثرة إلى الوحدة التي هي أقرب إلى ذاته تعالى ونزوله من الوحدة إلى الكثرة والتفصيل إلى عالم الشهادة لهداية أُمّته، وكان هذان السيران للنبيّ ﷺ دائمين في حين حياته ﷺ وجميع الكمالات الممكنة للبشر في الدنيا حاصلة له ﷺ بعضها بواسطة جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة الكرام، قال الله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم: الآيتان 5، 6]، وقال النبيّ ﷺ: «**إن روح القدس نفث في روعي**»[1]، وبعضها بلا واسطة مع أنه ﷺ أفضل من جبريل عليه السلام، وبعد انتقاله ﷺ إلى عالم القدس والرفيق الأعلى له عروج فقط، ومقرّه في مركز دائرة الخلّة الذي هو الوحدة، وكانت حركته ﷺ

---

(1) رواه القضاعي في مسند الشهاب، (728 إن روح القدس...)، حديث رقم (1151) [2/ 185]؛ وروى نحوه ابن أبي شيبة في مصنّفه، ما ذُكِر عن نبيّنا ﷺ، حديث رقم (34332) [7/ 79] وروى نحوه غيرهما.

في حين حياته إلى عالم الشهادة قسرية لا طبيعية، وإلى عالم القدس طبيعية، ففوّض حراسة أُمّته ﷺ إلى فرد من أفراد أُمّته، وله هذه المرتبة بطفيله ﷺ كما صرّح الشيخ رحمه الله في المكتوب الثامن عشر ومائة من الجلد الثالث، وقال: لا يظنّ أحد أن السالك لا يحتاج إلى متابعة النبيّ ﷺ لأنه كُفْر وإلحاد وزندقة والدقيقة من الدقائق والمعرفة من المعارف التي لهؤلاء القوم لا تحصل لهم إلّا بتوسّطه ومتابعته وحيلولته ﷺ، سواء كان مبتدئًا أو متوسّطًا أو منتهياً. بيت [شعر بالفارسية]:

محالست سعدي كه راه صفا تواون رفت جز در پي مصطفى

معنى البيت: يا سعدي هذا أمرٌ مستحيل أن يصل أحد إلى الطريق المستقيم بلا تبعيّة النبيّ ﷺ، بل قلّما يخلو مكتوب من مكاتيبه من التأكيد والمبالغة بتلك المتابعة، وما حصل لذلك الفرد من الكمالات فهو له ﷺ، وهو بمنزلة الآلة والخادم، وفي المواهب بيان خصائصه ﷺ.

قال الشافعي رحمه الله: ما من خير يعمله أحد من أُمّته ﷺ إلّا والنبيّ أصل فيه، قال في تحقيق النضرة: فجميع حسنات المسلمين وأعمالهم الصالحة في صحائف نبيّنا ﷺ زيادة على ما له من الأجر مع مضاعفة لا يحصيها إلّا الله تعالى؛ لأن كل مهتدٍ وعامل إلى يوم القيامة يحصل له أجره، إلى أن قال: وبهذا يُجاب عن الاستشكال في دعاء القارىء له ﷺ بزيادة الشرف مع العلم بكماله ﷺ في سائر أنواع الشرف، انتهى.

وأبهم الشيخ أحمد رحمه الله ذلك الفرد من أُمّته ﷺ، وما قال أنا ذلك الفرد، فيمكن أن يكون ذلك الفرد الخضر أو إلياس عليهما السلام أو غيرهما، وفي المواهب في بيان خصائص أُمّته ﷺ. نعم هو ـ أي عيسى عليه السلام ـ واحد من هذه الأمّة لما ذكر من وجوب اتّباعه لنبيّنا ﷺ، والحكم بشريعته، وساق الكلام إلى أن قال: وكذلك من يقول من العلماء بنبوّة الخضر عليه السلام، وصحّح في الإصابة أنه نبيّ وأنه باقٍ إلى اليوم، فإنه تابع لأحكام هذه الأُمّة، وكذا الياس على ما صحّحه أبو عبد الله القرطبي أنه حيّ أيضًا، وليس في الرُسل من يتبعه رسول إلا نبينا ﷺ، وكفى بهذا شرفًا لهذه الأمّة زادها الله شرفًا، انتهى.

وما وقع في الشفاء والفتاوى من أن تنقيص النبيّ ﷺ كفر، فهو بالنسبة إليّ ما هو غير كمالات الله تعالى وصفاته، وتعلم النبيّ ﷺ من جبريل عليه السلام، وهو الذي يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦﴾ [النّجم: الآيتان 5، 6]، مع أن جبريل عليه السلام مفضول، والنبيّ أفضل منه، وكذا مسّ الشيطان جميع أولاد آدم وقت تولّدهم إلّا عيسى عليه السلام، وكذا قوله عليه السلام: «أنا أول من يرفع رأسه بعد النفخة، فإذا أنا بموسى آخذًا بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أقام قبلي أو جُوزِيَ بصعقة الطور»، رواه البخاري.

وفي البدور السافرة للسيوطي رحمه الله في بيان الصعقة: وهذه الغشية للأنبياء إلّا موسى، فإنه حصل فيه تردّد، فإن لم يحصل له فيكون قد حُوسب بصعقة يوم الطور، وهذه فضيلة عظيمة في حقّه، ولكن لا توجب أفضليّته على نبيّنا ﷺ لأن الشيء الجزئي لا يُوجب أمرًا كلّيًا، انتهى.

وغيرها من الأمثلة التي تدلّ على تفضيل المفضول على الفاضل ليس كلها قبيل التنقيص المذموم وترقّي الدرجات التي للنبيّ ﷺ يومًا فيومًا في البرزخ لا يدلّ على تنقيصه ﷺ، مع أن كل درجة من الدرجات التي حصلت له ﷺ اليوم أعلى مما قبله إلى غير النهاية، فكيف يقال لمن يقول: كل الدرجات التي حصلت له ﷺ أعلى مما قبله، وهو متّصف بجميع صفات الكمال أنه نقصه ﷺ، والله أعلم.

وليس في كلام الشيخ أحمد رحمه الله ما يدلّ على النقص. وفي الشفاء: قال حبيب بن الربيع: التأويل في لفظ صريح لا يُقْبل، وفي آخر المكتوب الرابع والتسعين من الجلد الثالث في جواب من توهّم من هذا الكلام في بيان الملاحة والخلّة أن ذلك الفرد كمل النبيّ ﷺ صرّح بأن ذلك الفرد خادم وتابع للنبيّ ﷺ، كل ما حصل له فهو من خزائنه ﷺ، فإذا جاء العبد والخادم بهدية إلى المخدوم وقَبِلها منه لا يلزم به نقص، وذكر لدفع هذا الوهم كلامًا كثيرًا يدفعه، فمن أراد الوقوف عليه فليراجع إليه، ولدفع هذا الوهم نمثّل بهذه المسألة المعقولة المكشوفة بالمحسوسة بأن نتصوّر بستانًا عظيمًا حوله سور، وهو بمنزلة دائرة الخلّة وقصرًا مرتفعًا غاية الارتفاع في وسط هذا البستان، وهو

بمنزلة المركز، وقد دخل فيه النبيّ ﷺ ورأى كل ما فيه تفصيلاً إلّا شيئًا قليلاً، ثمّ ارتقى النبيّ ﷺ على ذلك القصر واستغرق في مشاهدة جمال ذاته تعالى فيه لا يتوجّه ولا يلتفت إلى البستان والسور الذي هو أسفل من مكانه العالي ﷺ، وذلك الفرد من الخدّام والعبيد يبلغ حقيقة هذا البستان وسوره إليه ﷺ باعتبار بعض الوجوه الذي هو مجمل كالملائكة السيّاحين في الأرض يبلغونه ﷺ سلام أُمّته وصلاتهم ويزيد الله تعالى شرفه ودرجته بواسطة دعائهم وصلاتهم يومًا فيومًا، فليس فيه نقصه ﷺ مع أنه يعلم صلاة كل فرد فرد من الأُمّة، ويحصل ثوابها له ﷺ بواسطة الملائكة والأُمّة، فافهم.

وروى أحمد والنسائي والحاكم حديث تبليغ الملائكة صلاة الأُمّة إليه ﷺ وترقي الدرجات للنبيّ ﷺ في البرزخ يومًا فيومًا بسبب أعماله بنفسه ﷺ؛ لأن الأعمال الصالحة لأُمّته فهي في الحقيقة أعماله ﷺ بمقتضى حديث: «**مَن سنّ سُنّة حسنة فله أجرها وأجر مَن عمل بها**»[(1)]، وإنْ فرضنا أن هذا المبحث ينجرّ إلى الفضل الجزئي لا يلزم المحذور أيضًا لأنه جائز عند العلماء وإن لم يفهمه الناس، ويدلّ على الفضل الجزئي أحاديث كثيرة، منها ما في رواية الترمذي: قال النبيّ ﷺ يقول الله تعالى: «**المتحابّون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيّون والشهداء**»[(2)]، وروى أبو داود عن عمر رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانتهم من الله**»، قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: «**هم قوم تحابّوا بروح الله من غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها**»[(3)] الحديث. وصدر من المشائخ رحمهم الله أيضًا أقوال تدلّ على الفضل الجزئي وحصول مرتبة الخلّة للنبيّ ﷺ بدعاء أُمّته منها قول الشيخ محيي الدين بن العربي في الفتوحات

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم (8296) [4/ 466]؛ والترمذي في سُننه، باب ما جاء في البرّ والإثم، حديث رقم (2390) [4/ 597]؛ ورواه غيرهما.

(3) وتتمّة الحديث: «فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا هم يحزنون» رواه الطبري في تفسيره، القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس: الآية 62] [11/ 131]؛ ورواه أبو داود في سننه، باب في الرهن، حديث رقم (3526) [3/ 288] وروى نحوه غيرهما.

المكّية في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة: لا ينال الخلة محمد ﷺ صاحب الوسيلة في جنّته وما نالها إلا بدعاء أُمّته، أين أُمّته من فضيلته! ومع هذا بدعائهم كانت ﷺ الوسيلة والمدعوّ له أرفع من الدّاعي، وفي وضع آخر من هذا الباب قال: نال محمّد ﷺ الوسيلة والخلّة بدعاء أُمّته، ولذلك أمرهم بالصّلاة عليه، كما أنه ﷺ أمرهم أن يسألوا الوسيلة إليه، انتهى.

وفي الفصوص: ويجوز أن يكون الفاضل مفضولاً من وجه كما مرّ بيانه، وهو: فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلّا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دونهم، الخ. أي لا يرون الأنبياء من العلم الذي يعطي صاحبه السكوت إلّا من مشكاة ذلك الوليّ مع أن الأنبياء أفضل منه، انتهى.

قال مولانا جلال الدين الدواني في رسالته في بيان تشبيه: «كما صليت على إبراهيم» أن تفضيل المفضول على الفاضل باعتبار بعض الوجوه جائز؛ إذ في الحديث: «**إن لله عبادًا ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء**»[1]، انتهى ملخصًا. وفي البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: الآية 66]، ولا ينافي نبوّته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من غيره ما لم يكن شرطًا في أبواب الدين، فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليه فيما بعث من أصول الدين وفروعه لا مطلقًا، انتهى.

والخضر عليه السلام نبيّ في قول، وليس بنبيٍّ في قول، وعليه أكثر العلماء؛ كذا في تفسير الجلالين، وفيه أيضًا: روى البخاري حديث أن موسى: «**أوحى الله إليه أن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك**». وفي المواهب روى أحمد والدارمي والطبراني عن أبي عبيدة قالوا: يا رسول الله هل أحد خيرٌ منّا، أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ قال: «**نعم قومٌ يكونوا من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني**»، وإسناده حسن وصححه الحاكم، انتهى.

وفي المشكاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أي الخلق أعجب إليكم إيمانًا**»؟ قالوا: الملائكة، قال:

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

«وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربّهم»، قالوا: فالنبيّون؟ قال: **«وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم»**! قالوا: فنحن؟ قال: **«وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم»**! قال: فقال رسول الله ﷺ: **«إن أعجب الخلق إليّ إيمانًا لقومٌ يكونون من بعدي يجدون صحفًا فيها كتاب يؤمنون بما فيها»**. وعن بريدة قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعى بلالاً فقال: **«بِمَ سبقتني إلى الجنّة، ما دخلت الجنّة قط إلا سمعت حشحشتك أمامي»**[(1)] الحديث. وفي شرح العقائد العضدية للجلال الدواني: فإن أفضل موضوعة للزيادة في معنى المصدر بوجه ما أعم من أن يكون من جميع الوجوه أو بجميع صفات الفضائل من حيث المجموع، والذي وقع الخلاف فيه هٰهنا هو الرجحان بهذا الوجه، أعني من حيث الثواب لا الرجحان من الوجوه الأُخر، فلا ينافي ذلك رجحان الغير في آحاد الفضائل الأُخر، ولا في مجموع الفضائل من حيث المجموع، وتمام تفصيله في الحواشي الجديدة لنا على الشرح الجديد للتجريد، انتهى.

وما صدر من الشيخ أحمد رحمه الله من كشف مقام الخلّة والولاية وغيرهما مثل ما صدر من الأولياء وما أخذ عليهم أحد، وذكر الإمام الشعراني في اليواقيت والجواهر عن بعض العارفين بهذه العبارة: اعلم أن النبوّة لم ترتفع مطلقًا، وإنما ارتفع نبوّة التشريع فقط. وفي الفتوحات المكّيّة في الباب السبعين ومائتين: أن النبوّة وإن انقطعت في هذه الأمّة بحكم التشريع، فما انقطع الميراث منها، فمنهم من يَرِثُ بنبوّة ومنهم من يرث برسالة، ومنهم من يرث برسالة ونبوّة معًا. قال الشيخ الشعراني في الطبقات عن الشيخ أبي المواهب الشاذلي أنه قال: إن مثل الفقراء والأولياء الصادقين ككنز صاحب الجدار، وقد يعطي الله تعالى من جاء في آخر الزمان ما حجبه عن أهل العصر الأوّل، فإن الله تعالى أعطى لمحمد ﷺ ما لم يُعْط الأنبياء الذين مضوا قبله، ويالله العجب من المتفقّهين الذين ينكرون ما قاله الأولياء ويصدّقون بما وصل إليهم من فقيه

(1) رواه الحاكم في المستدرك، من كتاب صلاة التطوّع، حديث رقم (1179) [1/ 457]؛ ورواه الترمذي في سننه، باب في مناقب عمر...، حديث رقم (3689) [5/ 620]؛ ورواه غيرهما.

واحد، وربما يكون إسناده في ذلك القول إلى دليل ضعيف، وما ذلك والله إلّا الحرمان، انتهى.

تنبيـــه:

اعلم أن حاصل هذا الكلام للشيخ أحمد رحمه الله في بيان الخلّة ومراده منه أن مرتبة الخلّة أمرٌ كُلّي وله حصص، ولكل نبيّ حصة منها على قدر استعداده وشرفه؛ لأنه أراد بها تفصيل كمالات ذات الله تعالى، ولكلّ نبيٍّ حاصل تفصيل كمالات ذاته تعالى بقدر استعداده وشرفه، وخُصّ إبراهيم عليه السلام بالخلّة لشهرته بها، ولنبيّنا ﷺ خلة على قدر استعداده وشرفه وهي أشرف وأعلى درجة من الخلة التي لغيره ﷺ من الأنبياء عليهم السلام، والمراد بالصلاة في قول: اللّهمّ صلّ على محمد كما صلّيت على إبراهيم الخلة والرحمة معناه: اللّهمّ أعطِ الخلّة والرحمة محمّدًا ﷺ بقدر استعداده وشرفه عندك كما أعطيتها على إبراهيم عليه السلام بقدر استعداده وشرفه عندك، ولنبيّنا ﷺ حصلت حصة الخلّة في حين حياته وهي أشرف وأعلى من حصة الخلّة التي لإبراهيم عليه السلام بأعمال نفسه ﷺ، وهكذا تترقّى درجة الخلّة والرحمة لنبيّنا ﷺ يومًا فيومًا في البرزخ أيضًا؛ لأنها غير متناهية بأعماله ﷺ بنفسه لا بغيره، وهي الأعمال الصالحة لأمّته ﷺ بموجب حديث: «من سنّ سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»، والأعمال الصالحة للأمّة كلها سنّة حسنة سَنّها النبيّ ﷺ، والأمّة كالآلة لحصول تلك الأعمال الصالحة للنبيّ ﷺ كالسكين للقاطع، فإسناد كسب كمالات الخلّة إلى فرد من أفراد أُمّته ﷺ إسناد مجازيّ كإسناد القطع إلى السكين، ومقرّ النبيّ ﷺ فوق مرتبة الخلّة وهي الولاية المحمّدية ومرتبة المحبوبية، وهي أشرف وأعلى من الخلة، ودعاء ذلك الفرد والأمّة بقول: اللّهمّ صلّ على محمد كما صلّيت على إبراهيم لإتمام مرتبة الخلة للنبيّ ﷺ بقدر استعداده وشرفه عند الله تعالى قُرِن بالاستجابة ودعاؤهم له ﷺ لازدياد شرفه والرحمة والقرب في مرتبة المحبوبية ودرجته عند الله تعالى بقولهم: اللّهمّ صلّ على محمد كما صلّيت على إبراهيم باقٍ إلى يوم القيامة، وهذه المعاني التي ذكرتها يدلّ عليها كلام الشيخ أحمد رحمه الله على بعضها بدلالة لفظه وعبارته وعلى بعضها بإشارته واقتضائه، ولا يخفى فهم هذه المعاني

من كلامه على طالب العلم سليم الطبع المُنْصف الذي استحضر من علم أصول الفقه والمعاني والبيان مبحث دلالة اللفظ وعبارته وإشارته واقتضائه ومنطوقه ومفهومه والحقيقة والمجاز والصريح والكناية، والله أعلم.

وحاصل جميع هذه الأقوال التي اعترض المعترضون بها ينجرّ إلى حصول بعض كمالات الخلّة للنبيّ ﷺ بتوسّط ذلك الفرد الغير المعين وإلى وصول ذلك الفرد إلى بعض العلوم من الله تعالى بلا توسّط، وإلى شركته للنبيّ ﷺ بتبعيّته له ﷺ في بعض المعارف والدرجات، وقد عرفت جواب كلها تفصيلاً وغاية ما فيه من القبح هو الفضل الجزئي، ولا نسلم أنه يفهم من كلام الشيخ رحمه الله بالمعنى الذي بيّنته لكلامه وإن سلم فهو جائز عند جميع العلماء والصوفيّة كما مرّ بيانه، فالفضل الجزئي عبارة عن زيادة شيء قليل مما حسّنه الشرع أعمّ من أن يترتّب عليه الثواب أولاً، كالمباح والفضل الكلّي عبارة عن كثرة الثواب وزيادته وأخذ العلم من الله تعالى بلا توسّط مرشد وشيخ جائز أيضًا، كما يدلّ عليه كلام غوث الثقلين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه في فتوح الغيب: وقد يكون للمريد سرّ لا يطّلع عليه شيخه، وللشيخ سر لا يطّلع عليه مريده الذي قد دنى سيره على عتبة باب شيخه، فإذا بلغ المريد حالة شيخه أفرد عن الشيخ وقطع عنه فتولّاه الحق عزّ وجلّ فيعظمه عن الخلق جملة، فيكون الشيخ كالداية ولا رضاع بعد الحولين، وفي النفحات قال الشيخ عبد الله التروغيدي: طوبى لمن لم يكن له وسيلة إليه غيره. قال الشيخ الشعراني في الطبقات عن الشيخ تاج الدين بن عطاء الله: وقد يجذب الله العبد فلا يجعل عليه مِنّة للأستاذ، قال مولانا الجامي قُدّس سرُّه في خطبة شرح الفصوص.

اعلم أن الحكمة الفائضة من الحقّ سبحانه على قلوب كُمّل عباده وخُلّص عبيده أنواع: منها ما يفيض عليهم بواسطة الملائكة المُقرّبين بألفاظ وعبارات محفوظة عن التغيير والتبديل مرادة تلاوتها وهو القرآن، ومنها ما يفيض عليهم بواسطة أو بغير واسطة معاني صرفة، ومن هذا القبيل الحديث القدسي، وهذا النوع ليس مخصوصًا بالأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات، بل يعمّ الأولياء وصالحي المؤمنين، ومنها ما يفيض من بعض الكُمّل على بعض كما يفيض من روح نبيّنا ﷺ على خواص متابعيه، انتهى.

وفي منبع الكمالات حكى الإمام الشعراني عن بعض العارفين أنه كان يقول: إن الرجل لا يكمل عندنا في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عزّ وجلّ بلا واسطة، إلى أن قال: كما أخذه الخضر عليه السلام، وفيه أيضًا عن بعضهم أنه كان يقول: إذا كَمُل العارف في مقام العرفان أورثه الله تعالى علمًا بلا واسطة.

وفي الفتوحات المكّيّة في بيان أحوال الأقطاب: وكل أصناف هذه العلوم عنده ـ أي القطب ـ علوم إلـهيّة ما أخذها إلّا عن الله سبحانه بلا واسطة. وفي مرصاد العباد: أما التجلّي العلمي فمثمر لظهور حقائق العلوم بلا واسطة، انتهى. ووقع في أقوال المشائخ في مواضع كثيرة ما يدلّ على أخذ العلم عن الله تعالى بلا واسطة، فمن أراد الوقوف عليه، فليراجع إلى كتبهم.

وما يدلّ على أخذ العلم عن الله تعالى بلا واسطة في مكتوب من المكتوبات للشيخ أحمد السرهندي رحمه الله يوافق هذه الأقوال وهو صرّح بأنه لا يصل أحد إلى هذا المقام إلّا بعد متابعته للنبيّ عليه الصّلاة والسلام كما مرّ، والله أعلم.

الجواب الثاني والثالث والعشرون لقولهم: وقال في المكتوب السادس والتسعين من الجلد الثالث: إن الولاية المحمدية وإنْ كانت ناشئة من مقام المحبوبية، إلّا أنه ليس هناك محبوبية صرفة، بل فيها نشأة من المحبّية أيضًا، وهذا المزج وإن لم يكن له بالأصالة، لكنّه يمنع من المحبوبية الصّرفة، وأن الولاية الأحمدية ناشئة من صرف المحبوبية وليس فيها شائبة المحبّية أصلاً، وهذه الولاية أسبق من الأولى وأقدم بمرحلة، ولقولهم: وقال في المكتوب الرابع والتسعين: إن النبيّ ﷺ اختفى في خلوة غيب الغيب، وردّ هذا الفرد المتوسط من أُمّته لحراسة الأمّة ومحافظتها، وليعلم أن محيط مركز الدائرة الثالثة ـ يعني الحاصلة ـ وإن كان أصغر من محيط التعيّن الأوّل، ولكنه أجمع منه وأقرب إلى حضرة الذات، وكلّ ما كان أقرب إلى حضرة الذات كان أجمع؛ كالإنسان بالنسبة إلى العالم الأكبر، فإنه وإن صَغُر لكنه أجمع وأشرف، انتهى.

اعلم أن جواب القولين بمجموعهما هو أن النبيّ ﷺ قال: «علماء أُمّتي كأنبياء بني إسرائيل»[1]، ووجه الشَّبَه فيه أن العلماء العاملين يرشدون أُمّته ﷺ إلى الصراط المستقيم ويهدونهم إلى سبيل معرفة الله تعالى العظيم كأنبياء بني إسرائيل، فصحّ حراستهم الأمّة، وهذا الفرد منهم مشهور عند الصوفية رضوان الله عليهم أجمعين. إن قطب الوقت هو الغوث يحرس أُمّته ﷺ، وكذلك الأوتاد والأبدال والنجباء والنقباء، والنبيّ ﷺ كان دائمًا مستغرقًا في مشاهدة جمال ذاته تعالى في مقام قاب قوسين أو أدنى خصوصًا بعد انتقاله ﷺ إلى الملأ الأعلى، ويزيد شرفه يومًا فيومًا، فإنه فوّض حراسة أُمّته إلى فرد من أُمّته، وما توجّه إلى العالم السفلي بموجب: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النّجم: الآية 17]، فلا قبح فيه حتى يلزم الذم لقائل هذا القول.

وأما قولهم: وقال في المكتوب المُوَفّى مائة من الجلد الثالث: اسمع أن هذه الدولة المحمدية الخاصة به وإنْ لم يكن أحد يشركه فيها إلّا أن بعد تخليق بدنه وتكميله بقيت من طينته بقيّة إلى آخر ما تقدم مكرّر، وقد مرّ جوابه في السؤال السابع.

الجواب الرابع والعشرون: لقولهم: وقال في المكتوب الحادي عشر من الجلد الأول بعد أن ذكر مقامًا قال: مرّ عليه الخلفاء ثم قال: وإليه طريقان أحدهما: رؤية النقص حتى أنه يرى كل من في العالم حتى الكافر الإفرنجي والملحد والزنديق أفضل من نفسه، ويرى نفسه أسوأ منهم، انتهى.

اعلم أن كل المخلوقات من حيث هم مخلوق الله ومصنوعاته عاقبتهم مُبْهَمة عسى أن يؤمن الكافر وعاقبته أيضًا مبهمة عسى أن يكفر باعتبار ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القَمَر: الآية 49]، وهم من حيث كونهم مظهر صفات الجلال يراهم أفضل من نفسه وكلّهم على صراط مستقيم بهذا الاعتبار، كما قال بعض العرفاء في بيان قوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هُود: الآية 56]، قال أبو مدين رحمه الله: **شعر**:

لا تنكر الباطل في طوره ... فإنه بعض ظهوراته

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (1744) [2/ 83]؛ والهروي في المصنوع [1/ 195].

واعلم أن الله تعالى إذا أراد العارف أن لا يحصل له العجب يظهر له الحكمة التي في خلق الكافر وغيره من المخلوقات، ولا تجدها في نفسه فيفضله على نفسه بها، فيصل به إلى الدرجة العليا مما يضيق عن الإحاطة بها نطاق البيان وينكشف له تسبيح كل شيء، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: الآية 44]، فلا محذور فيه، وقد ورد: فلا تزكوا أنفسكم، ولعل المعترض يحسب نفسه خيرًا من كل شيء، وهذا من ورثة الشيطان نعوذ بالله من ذلك.

الجواب الخامس والعشرون: لقولهم: ثم قال: ليعلم أن الأولياء إذا وصلوا إلى حضرة الذات بتبعيّة نبيّ من الأنبياء لا يكون ذلك النبيّ حائلاً بينهم وبين الذات، ولهم نصيب بالأصالة من حضرة الذات. غاية ما في الباب أن وصولهم إلى تلك الدرجة مربوط بتبعية ذلك النبيّ بخلاف الأمم، فإنهم إذا وصلوا بتوسّل أنبيائهم يكون الأنبياء حائلين إلا فردًا من أفراد هذه الأمّة ـ يعني نفسه ـ فإنه يأخذ بالأصالة من حضرة الذات وله نصيب منها، والحيلولة بينه وبين الذات مفقودة والتبعيّة موجودة، وقليل ما هم بل أقل، انتهى.

اعلم أن هذا القول مكرّر وجوابه مرّ في السؤال الثاني، فليرجع إليه.

الجواب السادس والسابع والثامن والتاسع والعشرون: لقولهم: وقال في المكتوب السادس والتسعين من الجلد الثالث: إن لمحمد ﷺ طوقي عبودية ـ يعني حلقتي الميم ـ وهما إشارتان إلى تعينيه الأول تعيّنه الجسدي وهو بشريّته، والثاني تعيّنه الروحي وهو مَلَكيّته، ولما فتر تعيّنه الجسدي بالموت قوي تعيّنه الروحي، ولكن كان لتعيّنه الجسدي بقيّة، فلما مضى ألف سنة زالت تلك البقيّة ولم يبق لتعينه الجسدي أثر فانقطع طوق عبودية جسده وطرأ عليه الزوال والفناء، فقام ألف الألوهية مقامه فصار محمد أحمد، وانتقلت الولاية المحمدية إلى الولاية الأحمدية، انتهى.

ولقولهم: وقال في المكتوب التاسع والمائتين من الجلد الأول: إن نبوّته ﷺ تتعلق بالنشأة العنصرية باعتبار الحقيقة المحمدية، بل باعتبار الحقيقتين المحمدية والأحمدية، لكن غلبت نشأته العنصرية المحمدية على الملكية

الأحمدية لتحصيل المناسبة بينه وبين الأمّة فتتأتى الإفادة والاستفادة، ولهذا أمر بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [الكهف: الآية 110] فأكّد البشرية بمماثلتهم وبعد ارتحاله عن النشأة العنصرية غلب جانب الروحانية ونقص جانب البشرية ونقص نورانية الدعوة وغلب الظلمة، ولما مضى من رحلته ألف سنة غلب جانب الروحانية وعُدِمت البشرية وانصبغت بصبغ عالم الأمر، فبالضرورة رجع عالم خلقه إلى عالم الأمر واتّحدت المحمدية بالأحمدية، انتهى.

ولقولهم: وقال في موضع آخر: إن الحقيقة المحمدية تبقى شاغرة حتى يأتي عيسى عليه السلام فيعرج إليها فينزلها، فكأنه يقول: إنه حينئذ تغلب بشريّته، فتوجد المناسبة بينه وبين الأمّة، فتتأتّى الإفادة والاستفادة حينئذ. وأما قبل ذلك، فلا يصح الإشارة لغلبة روحانيّته، فوجب أن يكون ذلك الفرد هو بزعمه، انتهى.

ولقولهم: وقال في المكتوب التاسع والمائتين من الجلد الأول: ومن هنا يعني من أجل أن بعد مضيّ ألف سنة لا يبقى من التعيّن الجسد أثر نقلوا عن الشرائع المتقدمة أن بعد مضيّ ألف سنة من رحلة كل واحد من أُولي العزم من الرُسل العظام يبعث رسول آخر، انتهى.

اعلم أن إيضاح أجوبة هذه الاعتراضات الأربعة يظهر بأن نذكر اصطلاحات الشيخ أحمد رحمه الله أولاً ليدفع شبهتهم، وذلك أن النبيّ ﷺ مُرَكّب من عالم الخلق، وهو ما يقبل الخرق والتجزّيء والالتئام، ومن عالم الأمر وهو ما لا يقبل الخرق والتجزيء والالتئام، وربّ عالم خلقه ﷺ العلم وربّ عالم أمره شأن العلم ومنشؤه، فالحقيقة المحمدية هٰهنا عبارة عن حقيقته الإمكانية العنصرية والحقيقة الأحمديّة كناية عن حقيقته الإمكانية الأمرية النورية، والنبيّ ﷺ باعتبار عالم أمره يربي عالم ملكوت السمٰوات والأرض، وباعتبار عالم خلقه يرشد العالم العنصري لمناسبة عالم خلقه بالبشرية وبالعالم العنصري، وبعد انتقاله ﷺ من العالم العنصري إلى العالم الروحاني انتقصت هذه المناسبة بسبب انتقاص آثار النشأة العنصرية كالأكل والشرب والنوم والمرض وغير ذلك من الصفات الجسمانية العنصرية، وبقي فيه من الصفات

البشرية التوجّه إلى العالم السفلي لإرشاد أُمّته، وبعد مضيّ الزمان المديد زال هذا التوجه والالتفات إلى العالم العنصري أيضًا، وهو المراد عنده بفناء جسمه ﷺ، لا الهيكل المخصوص الجسدي كما فهمه المعترض من كلامه واستغرق في بحر مشاهدة جمال ذاته تعالى.

وأراد الشيخ أحمد رحمه الله بالفناء ما أراده القاضي عياض رحمه الله في الشفاء في القسم الثالث فيما يجب للنبيّ ﷺ أو يجوز عليه: فظاهرهم وأجسادهم وبنيتهم متّصفة بأوصاف البشر طار عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية وأرواحهم وبواطنهم متّصفة بأعلى من أوصاف البشر متعلّقة بالملأ الأعلى، انتهى. والأولياء لا يتوجّهون إلى نعمة الجنّة من الأكل والشرب، ومرادهم في الجنّة رضاء الله ولقاؤه تعالى، فكيف يلتفتون إلى النعمة الدنيوية الخسيسة. وغلبت روحانيته ﷺ على جسمانيّته، وقرب جسمانيته إلى الروحانية، وهذا معنى عروج الحقيقة المحمدية ولحاقها بالحقيقة الأحمدية وخلوّ مكانها ﷺ، مع أن جسده الشريف باقٍ على حاله لا يبلى منه شيء، والمراد بعروج سيدنا عيسى عليه السلام بعد نزوله إلى المقام المحمدي قيامه مقامه ﷺ لإرشاد أُمّته وترويج شريعته وتبعيّته له ﷺ، كما كان ﷺ قبل عروج حقيقته يهدي الخلائق ويرشدهم وبعد ارتحاله ﷺ إلى عالم القدس والرفيق الأعلى انتقص نورانية هدايته وإرشاده وظهرت الظلمة، ولهذا قال بعض أصحابه ﷺ: ما فرغت من دفنه ﷺ إلّا قد وجدت قلبي متفاوتًا، كما ورد في رواية الترمذي عن أنس رضي الله عنه: وما نفضنا أيدينا عن التراب وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا(1).

ويدلّ على هذا المراد من زوال الجسد قوله في المكتوب التاسع ومائتين من الجلد الأول: متى مضى ألف سنة غلب جانب روحانيته على بشريته ﷺ، يعني صفات جسده على نهج لون تمام جانب بشريّته بلون نفس الروح، وانصبغ عالم خلقه بلون عالم أمره، انتهى. وما قال: زال عالم خلقه بالكلّية وفنى

---

(1) رواه ابن حبان في صحيحه، باب وفاته ﷺ، ذكر إنكار الصحابة قلوبهم...، حديث رقم (6634) والترمذي في سننه، باب في فضل النبي ﷺ، حديث رقم (3605) [5/ 583]؛ ورواه غيرهما.

جسده، وفي قول المعترضين ما يدلّ عليه أيضًا، وهو: وانصبغت بصبغ عالم الأمر وبعض كلامه يفسّر بعضه فإن يلاحظ المنصف لا يعترض عليه البتّة، وهو المراد بقول الشيخ أحمد رحمه الله: وواحد من طوقي العبودية انقطع وزال وأشار بقوله: وقام ألف الألوهية التي بمنزلة البقاء بالله مقام الطوق المنقطع إلى أن الحقيقة الأحمدية مظهر اسم الله المستجمع لجميع صفات الكمال ومرتبة هذا القرب من الله تعالى أفضل من التوجه إلى العالم السفلي العنصري.

فإذا عرفت هذا فاعلم أنه لا يصح قول المعترضين فينزلها، فكأنه يقول: إنه حينئذ... الخ، لأنه ما قال رحمه الله هذا، ولا يُفْهم من كلامه، فمن أين يفترونه؟ لأن كلامه لا يدلّ على هذا المعنى، ومعرب ألفاظه: وإذا نزل عيسى عليه السلام وتابع شريعة خاتم الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام، يعرج من مقامه إلى مقام الحقيقة المحمدية ويصل إليه بتبعيَته للنبيّ ﷺ، ويقوى دينه ﷺ.اهـ. والمراد بزوال أثر التعيّن الجسدي بعد مضيّ ألف سنة وانكسار أحد طوقي العبودية، وهو عبارة عن الميم الأول من اسم محمد، وإقامة ألف الألوهية مقامه، والانخلاع من الجسد إلى الروح زوال هذا التوجّه إلى العالم السفلي للإرشاد والتفاته ﷺ إليه لا إبلاء الجسد كما مرّ بيانه، فلا يردّ اعتراض المعترضين عليه بأن جسده ﷺ لا يَفْنى وهو يقول بفنائه، غاية الأمر أن هذه المسألة كشفيّة ما وردت فيها الرواية.

الجواب الثلاثون لقولهم: وقال في المكتوب الحادي عشر من المجلد الأول المقام الذي كنت رأيت نفسي فيه لما لاحظته رأيت الخلفاء الثلاثة قد عبروا عليه إلى أن قال: وفي أثناء ملاحظة ذلك المقام مرة ثانية رأيت مقامات أُخر بعضها فوق بعض، ولما وصلت إلى مقام فوق المقام السابق علمت أنه مقام ذي النورين رضي الله عنه، وقد مرّ عليه بقيّة الخلفاء، وهذا المقام أيضًا مقام التكميل والإرشاد، وهكذا مقامات فوق ذلك سنذكرها، وظهر لي فوق هذا المقام مقام آخر، فلما وصلت إليه علمت أنه مقام الفاروق رضي الله عنه، وقد مرّ عليه بقية الخلفاء وفوقه مقام آخر هو مقام الصديق الأكبر رضي الله عنه، وقد مرّ عليه بقية الخلفاء، وفوقه لا يُعرف مقام إلّا مقام الرسول ﷺ، وظهر لي في محاذاة مقام الصديق مقام آخر أعظم منه وأنوار لم

يقع نظري على مثله قط، وكان أرفع من مقام الصديق ارتفاع الصفة عن وجه الأرض وعلمت أنه مقام المحبوبين، وذلك المقام ملوّن ومنقّش، ورأيت نفسي ملوّنًا ومنقشًا من انعكاس ذلك المكان فيّ، ووجدت نفسي لطيفًا في لون الهواء أو قطعة غيم منتشرة في الآفاق، ورأيت حضرة الشيخ الكبير ـ يعني الخواجه النقشبند ـ في مقام الصدّيق، ورأيت نفسي في ذلك المقام المُحاذي له المذكور، انتهى.

اعلم أن كلام الشيخ رحمه الله هذا لا محذور فيه، ولا يلزم منه فوقيّته على أصحاب النبيّ ﷺ، ومن يقف على مصطلحاته لا يشتبه عليه ما لا محذور فيه.

واعلم أن الوصول إما نظري أو قُدُميّ، فالنظري ما يصل إليه السالك بالنظر، كوصولنا إلى الشمس والقمر، ونحن على وجه الأرض والوصول القُدُميّ ما يصل إليه من المطلوب بالقدم كما يصل أحد إلى الشمس في السماء الرابعة ببدنه أو روحه، وهو قسمان: أحدهما ملكي مسكني بالأصالة، وهو عبارة عن وصوله إلى المرتبة التي هي مسكنه ومأواه وملكه، والثاني غيره وهو عبارة عن وصوله إلى تلك المرتبة بالتبع والعارية، ولا يكون ملكه ولا يقدر أن يسكنها إلّا برضاء صاحب المرتبة أو بخدمته، فإذا فهمت هذا فاعرف أن مراد الشيخ رحمه الله تعالى من الوصول إلى هذه المقامات بالتبع بطريق العارية أو الخدمة أو بالنظر، فلا محذور فيه على أنه رأى ذلك في واقعة في أثناء سلوكه، ومع ذلك أجاب عنه في كثير من مكاتيبه.

الجواب الحادي والثلاثون لقولهم: وقال في الفصل الثالث من الجلد الأول: إن نهاية كمال ولاية أولياء الأمّة الخاصة الغوثيّة ونهاية كمال ولاية أهل ولاية الأنبياء في أولياء الأمّة الإمامة، ونهاية كمال كمالات النبوّة في غير النبيّ الخلافة، وقد ظهر لي سرّ هذا المعنى، ففي الحقيقة خلافة الشيخين رضي الله عنهما استقامت وكانت في غاية القوّة والعدل؛ لأن جانب كمالات النبوّة فيهما كان أكمل وأغلب من جانب كمالات الولاية وشرعت الفتن في خلافة ذي النورين لكونه برزخًا بين ولاية النبيّ ونبوّته عليه الصّلاة والسلام، وكَمُل الخلل

إلى الغاية في خلافة أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه لغلبة جانب الولاية فيه كرّم الله وجهه، لكنه لمّا كان صاحب مرتبة الإمامة الحقيقية وحدها مستقلاً بها لم يُقْتَل في أمر الخلافة وقُتِل ذو النورين فيه لعدم اختصاصه بأحد المرتبتين، وفي نظري أن ولاية عليّ رضي الله عنه أول الشروع في الإمامة المجرّدة، انتهى.

اعلم أن ذلك ظهر له في كشفه رحمه الله وهو لا يخالف الشرع، فما الذي وجده المعترضون فيه مما يلزم به القبح، مع أني ما وجدت هذه العبارة التي أوردها في الجلد الأول ليست هي فيه بل فيه بيان كيفيات ولايات الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين.

الجواب الثاني والثلاثون لقولهم: قال في المكتوب المائتين والستين من الجلد الأول: ليعلم أن منصب النبوّة خُتِمَ بخاتم الرسل، لكن من كمالات ذلك المنصب بطريق التبعيّة لأتباعه نصيب كامل، وكانت هذه الكمالات في طبقة الصحابة أكثر، وفي التابعين قليل، ثم اسْتُتِرَت وغلبت ولاية الكمالات الظلّيّة، لكن أرجو أنه بعدما مضت ألف سنة تتجدّد تلك الدولة وتظهر الكمالات الأصلية وتستتر الظلّيّة، انتهى.

اعلم أنه متى اسْتُتِرَت الكمالات التي كانت ظاهرة في زمان النبيّ ﷺ وأصحابه والتابعين رضي الله تعالى عنهم أجمعين الذين هم أئمّة خير القرون، كما قال النبيّ ﷺ: «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[1] الحديث، عادت البدعة والظلمة حتى مضى ألف سنة، وبعد ذلك استفاد كثير من الناس من خدمة الشيخ رحمه الله وأولاده وأخذوا الطريقة والذكر منهم وتعلّموا طريق السلوك حتى شاعت طريقتهم في البلدان والأكناف والأطراف، وهو المراد بقوله: لكن أرجو بعد ما مضت ألف سنة الخ، ونحن نتعجّب على اعتراضات المعترضين من هذه الأقسام الواهية

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب لا يشهد على شهادة جور...، حديث رقم (2508) [2/938]؛ ومسلم في صحيحه باب فضل الصحابة...، حديث رقم (2535) [4/1964]؛ وأول رواية البخاري: «خيركم قرني...» الحديث. وروى الحديث غيرهما.

وعلى عقولهم الفاسدة، وكيف يقبل الناس كلامهم ولا يزجرونهم، وهذا آخر ما تصدّينا بجوابه.

ثم ذكر المؤلف هنا بعض كلماته الدالّة على شدّة تمسّكه بالشريعة وغاية وَرَعه ونهاية احتياطه ووصيّته بذلك لأولاده وأتباعه، ونحن أسقطناه لإغناء الإصباح عن المصباح. وينبغي للمنصف المُحقّق أن يحمل كلام الأولياء الذي ظاهره لا يوافق الشرع على محمل حسن أو يسكت، والأقوال التي صدرت عن الأولياء من هذا النمط كثيرة منها في كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي، قول أبي طالب المكي: ليس على الخلق أضرّ من الخالق، وقول أبي يزيد البسطامي: لي معراج كما كان للنبيّ ﷺ، وقوله: سبحاني ما أعظم شاني حسبي من نفسي حسبي، قيل لأبي يزيد: إن الخلق كلّهم تحت لواء محمد ﷺ، فقال: لوائي أعظم من لواء محمد، لوائي من نور تحته الجنّ والإنس مع النبيّين، وقوله: أراد موسى أن يرى الله تعالى وأنا ما أردت، بل هو الذي أراد أن يراني سبحاني.

وقول أبي سعيد الخرّاز: أكبر ذنبي إليه معرفتي إيّاه. قال السرّاج: وأنكرت جماعة من العلماء على أبي سعيد أحمد بن عيسى الخرّاز بألفاظ وجدوها في كتاب صنّفه، وهو كتاب السرّ، ومنها قوله: عبد طائع ما أُذِن له، ولزم التعظيم لله فقدّس ربّه روحه، وقول أبي محمد موسى الفرغاني الواسطي: من ذكر افترى ومن صبر اجترى، إياك أن تلاحظ حبيبًا أو كليمًا وأنت تجد إلى ملاحظة الحقّ سبيلاً، فقيل له: أفلا أصلّي عليهم؟ فقال: صلّ عليهم بلا وقار ولا تجعل لها في قلبك من مقدار.

وقد ذكر أبو حامد الغزالي في كتابه الإحياء أن بعضهم قال: للربوبيّة سرّ لو ظهر لبطلت النبوّة، وللنبوّة سرّ لو كُشِف لبَطُل العلم، وللعلماء بالله سرّ لو أظهروه لبَطُلت الأحكام. قال ابن عقيل: وقد حُكِي عن الشبلي أنه قال: إن محمدًا ﷺ ليشفع في أُمّته وأنا أشفع بعده في أهل النار حتى لا يبقى فيها أحد.

وذُكِر في النفحات أن الشيخ أحمد الغزالي رحمه الله يقول: إن الشيخ أبا القاسم الكركاني كان لا يقول لإبليس إبليس، بل إذا أراد أن يذكر اسمه قال:

إنه خواجة خواجكان سرور مهجوران، وقال عين القضاة الهمداني: سمعت من بركة قُدِّس سرُّه يقول: سمعت فتحًا قال: قال إبليس: ما في العالم أحد أشقى مني، قال هذا وبكى. وكتب عين القضاة في المكتوب: لكن من هٰهنا قال حسين بن منصور: ما صحّت الفتوة إلّا لأحمد وإبليس، واحسرتا أما تسمع أنه قال: إن الفتوّة مسلمة لاثنين: أحمد وإبليس، يا فتى هذان الاثنان متّصفان بصفات الكمال وغيرهما ليس إلّا أطفال الطريق.

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتاب المناظرة الإلٰهيّة في بيان الفرق بين الغافر والغفور: إن الغافر هو الذي يغفر الذنوب إلّا الشرك، والغفور هو الذي يغفر الشرك أيضًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النّساء: الآية 48] بيان حال الغافر، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزّمَر: الآية 53]، وهذا القول ناظر بعدم خلود الكفار في النار... الخ.

وقول الشيخ عبد القادر الجيلاني قُدِّس سرّه: قدمي هذه على رقبة كل وليّ. وقوله حكاية عن الله تعالى يا غوث أنا مكوِّن المكان ليس لي مكان سوى سرّ سرِّ الإنسان في القلب، وهكذا صدرت كلمات كثيرة من الأولياء، ناهيك هذا القدر؛ فالتأويل لكلام البعض دون البعض خلاف الإنصاف.

وقال الإمام الشعراني قُدِّس سرّه في كتاب العهود والمواثيق: إذا بلغك عن القوم أنه يتكلّم بما يخالف الشريعة فاحمل كلامه على سبعين محملاً، فإذا لم تقنع بذلك نفسك فارجع عليها باللَّوْم، وقل لها: يحتمل كلام أخيك سبعين محملاً ولا تحملينه على محمل واحد، فأنت مريضة، انتهى.

أخرج أبو داود عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان: الكفّ عمّن قال لا إلٰه إلّا الله لا تكفره بذنب ولا تخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض». وأخرج البخاري عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يَرْمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يَرْميه بالكفر إلّا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك». وأخرج الترمذي عن واثلة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك». وفي البحر في الفتاوى الصغرى: الكفر شيء عظيم، فلا أجعل المؤمن كافرًا متى وجدت رواية أنه لا يكفر، انتهى.

وفي الخلاصة وغيرهما: إذا كان في المسألة وجوه توجب الكفر ووجه واحد يمنع الكفر، فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير تحسينًا للظنّ بالمسلم، انتهى. وفي التتارخانية: لا يكفر بالمحتمل لأن الكفر نهاية في الجناية، فيستدعي نهاية في العقوبة، ومع الاحتمال لا نهاية تحصل، انتهى. وفي الخلاصة: إنكار الكفر توبة، وجحود الكفر إسلام. وفيها أيضًا: لا يكون الكفر كُفْرًا حتى يعتقده القائل، انتهى.

قال العلماء رحمهم الله: التزام الكفر كفر لا لزوم الكفر، كذا في المواقف والفتاوى. وهذه الروايات في حق من صدرت عنه كلمات الكفر صحوًا، وليست في حق من صدرت عنه حالة السكر، لأنه يعفى، فلا يجوز تكفيره. وقد صرّح الشيخ رحمه الله بسكره في المكتوب الثامن عشر ومائة من الجلد الثالث. اللّهمّ أرنا الحقّ حقًّا وارزقنا اتّباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، اللّهمّ إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، اللّهمّ وفّقنا لما تحبّ وترضى، سبحانك اللّهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك، اللّهمّ وأتوب إليك وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قال مؤلف هذه الرسالة المباركة: فرغت من تنسيج هذه الرسالة المسمّاة بـ«عطية الوهاب الفاصلة بين الخطأ والصواب» ثاني ربيع الأول في سنة أربع وتسعين وألف، وأفضل الصلاة والسلام على صاحب الشفاعة واللواء المعقود والكرم والجود. تمّ.

إخطـار:

قد مرّ في أوائل هامش الجلد الأول الردّ منا والتشنيع على من ينكر وجود البشارة بوجود الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في الحديث النبوي، فتوهّم البعض أني أردت بذلك بعض فضلاء هذا العصر الذي انتشر بعض تآليفه في الأمصار، وليس الأمر كذلك، فإني لم أوفّق بعد لمطالعة تأليفاته، بل عنيت بذلك بعض وهابية الهنود المتمرّدة المُبْغِضة للإمام خصوصًا وسائر الأئمّة عمومًا، خذلهم الله تعالى ولأجل دفع التهمة حرّرنا ذلك.

الحقير محمد مراد